الفصل الأول

الاسلام فى شرق أوربا

المسلمون وغزو اوربا من الشرق

غزو القسطنطينية

تذكر المصادر التاريخية العربية والأجنبية أنه ما أن أستقر حكم بنى أمية فى بلاد الشام وولى معاوية بن أبى سفيان أمور المسلمين بعدأن زالت كل المتاعب عن طريقه ، حتى بدأ الاهتمام بمد حدود الدولة الاسلامية وتوجيه الجيوش الموحدة الاسلامية للغزو والجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الدين القويم وفى سبيل نشر الرسالة المحمدية الاسلامية فى شتى بقاع الأرض المعمورة . ومن ثم بدأ التفكير فى تجهيز أول غزوة حربية لغزو مدينة القسطنطينية ، قاعدة الدولة الرومانية الشرقية ، ومن الثابت تاريخيا أن سياسة الخلافة الأموية فى دمشق كانت ترمى من وراء هذه السياسة — سياسة غزو القسطنطينية والالتجاء إلى الباب الشرقى للقارة الأوربية إلى ما هو أبعد من الاستيلاء على عاصمة الدولة الرومانية ، فقد كانت تهدف إلى حمل رسالة الاسلام إلى كل جزء من أجزاء القارة الأوربية لطبعها بطابع الدين الحنيف ولإطواء هذه القارة فى دولة الاسلام الكبرى،وذلك بعد أن يتم تثبيت أقدام المسلمين على أديم الأرض الأوربية ، ومن ثم تتخذ مدينة القسطنطينية قاعدة أساسية للانطلاق منها لتنفيذ ذلك الهدف السامى من أجل نصرة دين الله .

الاستعداد للغزو :

وكان المسلمون قد خبروا ضعف الدولة الرومانية فى عدة معارك برية وبحرية وهزموا جيوشها وأدركوا ما أصابها من الانحلال والضعف والتفكك والانهيار ، وقد كانت الظروف السياسية تسمح بالقيام بغزوة إسلامية كبرى لعاصمة الامبراطورية تهدف إلى تنفيذ خطة المسلمين فى نشر ألوية الرسالة المحمدية ،

فقد كان يحكم العاصمة الرومانية إمبراطور صغير السن بالإضافة إلى الخلافات الداخلية بين أمراء الأسرة الحاكمة والخلافات مع بلاد البلغار المجاورة لهم من جهة الشمال الغربي . وقد كان ذلك من العوامل التي ساعدت ودفعت معاوية لتجهيز تلك الغزوة واتخاذ سياسة الهجوم ومهاجمة العدو في عقر داره بدلا من سياسة الدفاع وقام العرب بعدة غزوات صغيرة كانت عبارة عن خدع حربية في حين أن جهود المسلمين الأساسية كانت موجهـــة لمعركة كبرى مع عاصمة الدولة الرومانية القسطنطينية .

وحشد الخليفة معاوية جيشا كبيراً وأسطولا ضخماً ، خرج من كل الموانئ الاسلامية المطلة على شواطىء البحر المتوسط ، خرج ذلك الجيش والأسطول يرفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ليرفع تلك الراية خفاقة عالية على مدخل أوربا الشرقي ، وسار هذا الجيش والأسطول من ثغور بلاد الشام ومصر إلى مياه القسطنطينية مخترقا هضاب الأناضول تحت قيادة أمير الجيش سفيان بن عوف الازدي (١) وتبعه بعد ذلك يزيد بن معاوية ومعه أيضا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجاهدوا في سبيل نشر الرسالة الإسلامية الخالدة ومن بينهم الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري ، وعبد الله بن العباس ، وعبد الله بن عمر ، وابن الزبير وغيرهم من الصحابه وأبناء الصحابة .

المهم أنه بعد أن وصل الجيش الإسلامي إلى القسطنطينية وبعد أن اخترق الأسطول الإسلامي مضيق الدردنيل دون أدنى مقـــاومة تذكر من جانب الأسطول الروماني ، وبعد أن أوغل الجيش الإسلامي في آسيا الصغرى مستوليا على كل مدنها وخضعت له كل البلاد الواقعة في طريقه سواء التي تقع في الجبال

---

(١) تذكر بعض المصادر التاريخية أن قيادة غزوة القسطنطينية الأولى كانت تحت إمرة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، إلا أن هذه الروايات ضعيفة وسندها التاريخي لا يأخذ به ، ذلك أن يزيد كان قد تأخر عن الخروج مع الجيش الزاحف للغزو بسبب مرض ألم به ، وأنه خرج بعـد ذلك بقوات أخرى ، وقد يكون تولى قيـادة قوات الغزو بعد وصوله إلى أرض المعركة وحصار القسطنطينية .

أو السهول ، وبعد عدة معارك صغيرة وصل الجيش إلى القسطنطينية ، وتم نقل جنود البحرية الإســـلامية إلى الشاطىء الأوربى على بعد سبعة أميال من القسطنطينية والتقى جنود القوات البرية مع جنود القوات البحرية وبدأ الزحف لتحقيق الهدف الأسمى المنشود .

الهجوم على عاصمة الروم :

وهكذا بدأ العرب والمسلمون أول معاركهم البحرية بمحاصرة المدينة فطوقوها من البر والبحر بصفوف كثيفة من الجند والسفن ولبثوا عدة أيام من الفجر إلى المساء يهاجمون واجهتها الشرقية حتى القرن الذهبي ، واستمر حصار المدينة من البحر من شهر أبريل عام ٦٦٨ م (٤٨ هـ) وقد ارتد المسلمون عند اقتراب الشتاء إلى جزيرة أروادا والتى كان المسلمون قـــد بسطوا نفوذهم وسيطرتهم عليها من قبل وذلك لكى تكون مركزا من مراكز الإمداد والتموين وخط دفاع ، وهى تقع على بعد ٨٠ ميلا من القسطنطينية حيث أنشأ المسلمون بها مراكزهم الهجومية وعاد المسلمون إلى حصار المدينة فى صيف العام التالى وعاودوا الارتداد فى الشتاء واستمروا بعد ذلك يعاودون الحصار والارتداد، وإن كان بعض مؤرخى العرب قد ذكروا أن الحمـــلة كانت صائفة أى فى صيف عام ٤٩ هـ / ٦٦٩ م ثم تعددت الشواتى والصوائف سنة بعد سنة وهذا ينفى أن القتال كان فى فصل الصيف فقط وهذا الرأى أقرب إلى القبول . إذ كيف يترك المسلمون القتال فى فصل الشتاء ويسمحون للعدو بإعادة استعداداته ووصول الامدادات إليه وحشد قواته استعداداً للقتال فى الصيف القادم .

وهناك أقوال أخرى نذكر أن السفن الاسلامية كانت تحاصر المدينة فى الربيع والصيف وأنه لما طال حصار المدينة وتحطمت بعض السفن ، خرجت فى عام ٥٤ هـ / ٦٧٤ م عمارة ضخمة عليها فرق بحرية من السوريين والمصريين قاصدة بحر مرمرة ومنها إلى القسطنطينية واشتبك المصريون والسوريون الذين كانوا يرفعون راية لا إله إلا الله محمد رسول الله مع الأسطول الرومى فى ميـــاه القسطنطينية وعلى مقربة من أسوارها فى معارك حامية تطاولت حتى بلغت سبع

سنوات ولكن المسلمون رغم كل الجهود والحملات وطوال فترة الحصار لم يتمكنوا من فتح المدينة لمناعة حصونها ووصول الإمدادات الحربية من كل دول أوربا واستشهد فى تلك الغزوة الصحابى الجليل أبو أيوب الأنصارى (١) ولم يعرف على وجه التحديد عام استشهاده فقيل كانت فى عام ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ هـ وقد دفن تحت أسوار المدينة .

نتائج الغزوة :

لقد نجح معاوية بن أبى سفيان فى هذه الغزوة إذ استطاع عن طريقها القضاء على حركة المردة الذين كانوا يهاجمون الحدود الشمالية للدولة الإسلامية والذين كانت تدربهم الامبراطورية الرومانية وترسلهم لمهاجمة الحدود ، كذلك نجح الأسطول الإسلامى فى محاصرة المدينة وتضييق الحصار عليها وحصارها حصاراً قاسياً رغم تفوق الروم على المسلمين فى النار الاغريقية والحراقات والتى ساعدتهم فى الوقوف أمام هذه الغزوة الإسلامية الكبرى ولم يرفع معاوية الحصار عن المدينة إلا حين شعر باشتداد المرض عليه وقرب دنو أجله ، ورأى أن تعود القوات الإسلامية الغازية إلى بلاد الشام لحفظ الأمن الداخلى للبلاد لا بسبب فشلها فى فتح القسطنطينية كما أشاع ذلك كتاب الغرب من النصارى المعادين للإسلام وقوته وأيضا بعض المستشرقين الذين انساق وراءهم للأسف بعض مؤرخى العرب والمسلمين فى القول بفشل تلك الغزوة .

وهناك أراء تذكر أن الذى أمر برفع الحصار عن المدينة وعودة القوات إلى

---

(١) كان أبو أيوب الأنصارى قد طلب من يزيد بن معاوية قبل الغزوة أنه إذا استشهد فى تلك الغزوة أن يدفن تحت أسوار مدينة القسطنطينية وكان أبو أيوب الأنصارى قد شهد غزوة بدر وأحد والغزوات كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد صفين مع على بن أبى طالب وغيرها من حروبه ، وعندما فتح السلطان العثمانى محمد الفاتح مدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣ م عثر العثمانيون على قبر أبو أيوب الأنصارى خارج الأسوار وبعد ست سنوات من الفتح عام ١٤٥٩ م أمر السلطان محمد الفاتح ببناء مسجد يضم قبر الصحابى الشهيد الجليل ، ولا زال إلى اليوم مسجد أبو أيوب من المساجد الكبرى المشهورة فى اسطنبول .

داخل البلاد وخاصة بلاد الشام هو يزيد بن معاوية وذلك لمواجهة الأحداث الداخلية المحتملة ومنها عدم اتفاق المسلمين عامة على مبايعته خليفة للمسلمين ، كذلك قد يكون طول فترة الحصار . والذى استمر سبع سنوات هو الذى دفع الخلافة الأموية فى التفكير فى إيجاد طريق آخر لنشر الإسلام فى أوربا ، ولكن ليس عن طريق الشرق طريق القسطنطينية ومن ثم كانت فكرة فتح أوربا من الغرب ففتح موسى بن نصير وطارق بن زياد الأندلس ، وسار موسى بن نصير فى تنفيذ هذه السياسة فتوغل فى بلاد الأندلس شمالا ووصلت القوات العربية الإسلاميه إلى سهول فرنسا الواسعة بعد أن عبرت جيوش المسلمين جبال البرانس ودخلت قوات موسى مملكة الفرنج واللومبارد وكانت فكرته أن يصل إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية عن طريق روما والقسطنطينية عن طريق الغرب بعد أن يتم له فتح ما يتبقى من بلاد النصرانية فى أوربا ولم تكن تلك الخطة أخطر من خطة اختراق الشمال الأفريقى الطويل والوصول إلى البحر المحيط والمحيط الأطلسى غربا بعد أن خرجت القوات الإسلامية زاحفة من مصر شرقاً .

عودة فكرة الغزو مرة اخرى :

مع نجاح القوات الإسلامية العربية فى فتح أوربا من الغرب إلا أن القسطنطينية وفتحها ظل أملا يداعب أفئدة المسلمين على مر الأيام والسنين وظهرت الفكرة إلى حيز التنفيذ مرة أخرى وكان ذلك أيضاً فى عهد الخلافة الأموية ، ففى عهد عبد الملك بن مروان ورغم انشغاله بالمشاكل الداخلية وضرورة التغلب عليها للخروج بالدولة الإسلامية موحدة قوية ، إلا أنه لم يصرف النظر على الإطلاق عن فتح القسطنطينية وإندفاع القوات الاسلامية غرباً لتلتقى مع القوات الإسلامية الزاحفة من الغرب وذلك لرفع راية التوحيد راية لا إله إلا الله محمد رسول الله فوق تلك المدينة وفوق الأراضى الأوربية الأخرى وضمها إلى ديار الإسلام ، فلم تمض بضعة أعوام حتى كانت فكرة غزو أوربا من الشرق عن طريق القسطنطينية غاية الخلافة الأموية وذلك فى عهد الوليد بن عبد الملك وكان عهده يتميز بالهدوء والاستقرار الداخلى للدولة الإسلامية مما أتاح له فرصة

معاودة سياسة الغزو ، وأراد الوليد أن يحقق محاولة أسلافه فى فتح المدينة التى ارتدت عنها الغزوة الأولى فى عهد معاوية وأن يوجه همه نحو الحدود الشمالية للدولة فأعد حملة بحرية كبيرة لفتحها ، ولكن الوليد بن عبد الملك مات قبل أن يكمل العدة وتجهيز الحملة وإبحارها إلى مياه القسطنطينية .

سليمان بن عبد الملك والغزوة الثانية :

بوفاة الوليد بن عبد الملك تولى الخلافة الإسلامية أخوه سليمان بن عبد الملك فعزم على إكمال المشروع الذى كان قد بدأه سلفه الوليد ورسم خطته لفتح المدينة براً وبحراً كما رسمت الخطة فى عهد معاوية بن أبى سفيان مع فارق بسيط فى التنفيذ وذلك لأن عمليات العرب والمسلمين فى آسيا الصغرى وتدمير حصون العدو وقلاعه فى عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد قد جعلت المسلمين مصممين على العودة إلى غزو القسطنطينية ، وذلك لأن العرب والمسلمين كانوا قد استعادوا بعض نشاطهم فى البحر بسبب حصولهم على سر النار الاغريقية التى تسببت فى إحراق سفن أسطولهم فى الغزوة الأولى .

وكان الذى هيأ للعرب السير فى مشروع الغزو هو حدوث اضطرابات خطيرة فى دولة الروم وانهزامها أمام البلغار والصقالبة الذين اقتحموا أجزاء كبيرة من أجزائها الشمالية والغربية ووصلت هذه القوات حتى أسوار مدينة القسطنطينية نفسها وامتدت غزوات المسلمين حتى ضفاف البسفور والدردنيل .

وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك قد ترك دمشق عاصمة الخلافة وخرج شمالا إلى مرج دابق ورابط على بعد أربعة فراسخ من حلب يراقب الموقف ويتابع سير الأمور وسارت القوات الاسلامية يحدوها الأمل الكبير ويشدها الهدف المنشود فى رفع راية الاسلام خفاقة عالية فوق المدينة وتحويل كنائسها إلى مساجد يرفع فيها اسم الله ويذكر وكان على رأس هذه الغزوة الميمونة مسلمة بن مروان شقيق الخليفة سليمان فى جيش كبير وتقدم الجيش العربى الاسلامى نحو القسطنطينية وكان الخليفة سليمان يشرف بنفسه على كل شىء ويتابع سير الأحداث ويراقبها ،

ودخلت القوات الإسلامية إلى المدينة وأحكمت حصارها براً من كل الجهات البرية وفى نفس الوقت حاصرها الأسطول الإسلامى بقيادة أمير البحر سليمان ، وكان نجاح القوات البرية فى اقتحام المدينة وفتحها رهنا بنجاح الأسطول الإسلامى فى التعاون مع القوات البرية فى إكمال خطة الحصار وفرض حلقة منيعة من الحصار عليها من البحر وقام الخليفة سليمان بناء على ما كان يصله من معلومات بإمداد أخيه بجيش آخر وأمره بإحكام الحصار وسد الثغرات والتركيز على أماكن الضعف فى دفاع المدينة وأخبره بعزمه على أن يمده بجيش ثالث يكون هو بنفسه على رأس هذا الجيش ليشرف بنفسه على سير المعركة إذ أمعن النصارى فى مقاومة الهجوم الإسلامى .

بدأ الحصار :

وبدأ المسلمون حصارهم للمدينة فى ١٥ أغسطس ٧١٧ م / ٩٨ هـ أى قبل دخول الشتاء ولذا كان أول هدف لأمير البحر هو قطع المواصلات البحرية بين المدينة وبين البحر الأسود شمالا وبينها وبين بحر مرمرة وبحر إيجة جنوباً وقد نجح القائد العربى المسلم أمير البحر سليمان فى تنفيذ الشطر الأول من خطته فى إغلاق الباب الجنوبى عن طريق بحر إيجة وبحر مرمرة ولكن لكى يتم للعرب والمسلمين إحكام حصارهم حول المدينة عبروا بقواتهم المجاهدة فى سبيل نصرة دين الله الحنيف إلى الشاطىء الأوربى ليهاجموا البلغار والذين كانوا العرب يطلقون عليهم إسم « برجان » ومعهم الصقالبة وهم الذين كانوا قد ساعدوا الروم من قبل بقواتهم العسكرية فى الغزوة الأولى وذلك لاعتقادهم الراسخ أن المسلمين سوف يزحفون إليهم للإستيلاء على بلادهم والاندفاع إلى كل أنحاء أوربا لاطوائها تحت راية الاسلام وأنه إذا أسقطت القسطنطينية فإن بلادهم لا محالة ستكون عرضة لنفوذ الاسلام والمسلمين ومن هنا فقد كانت خطة المسلمين ناجحة فى قطع الامداد عن المدينة من ناحية الغرب ، وبعد ذلك حاول المسلمون أن يقتحموا المدينة بالهجوم والمباغتة ولكن هناك ظروف حالت بين اقتحام المدينة بعد أن بذل المسلمون جهوداً جبارة فى سبيل إخضاعها بالحصار الصارم والمستمر والطويل وحفر قائد الجيش مسلمة بن مروان حول معسكره خندقا عظيما وأقام حوله سداً منيعاً [illegible] من

جنده بمجموعات خاصة إلى الأنحاء المجاورة للمدينة لتدمير المدن الصغيرة والقرى المحيطة بالقسطنطينية وكذلك لكى تتلف المؤن والأقوات التى قد تتسرب إلى المدينة المحاصرة من ناحية الغرب وكذلك منع وصول القوات العسكرية عن طريق الدول الأوربية المجاورة .

دور الأسطول الاسلامى فى الغزو :

قام الأسطول الإسلامى الذى كان يتكون من ١٨٠٠ ألف وثمانمائة سفينة — ربما يكون هذا العدد مبالغ فيه من جانب كتاب الغرب النصارى وذلك لإظهار ضعف المسلمين عن إخضاع المدينة بهذا العدد الكبير من السفن — فيما بين حربية كبيرة وصغيرة وسفن إمداد وتموين بتنفيذ الشطر الثانى من خطة الحصار ، وقد انتهز القائد البحرى لهذه الغزوة فرصة هبوب الرياح المواتية فأرسل مجموعة من سفن الأسطول للسيطرة على مدخل البحر الأسود ليحول دون وصول الامدادات العسكرية والغذائية من هذه الثغور ، ولكن المنطقة التى عبر منها الأسطول الاسلامى كانت صعبة الملاحة بسبب انحدار تيار مائى من البحر الأسود منع عبور السفن الاسلامية ، وفضلا عن ذلك فان السفن الصاعدة لم تستطع الإبحار ضد هذا التيار بالاعتماد على تسيير السفن زمنا طويلا ، وقد أدى ذلك إلى وقوع كارثة فى الأسطول الاسلامى قلبت خطط المسلمين رأسا على عقب إذ اشتدت الرياح على الرغم من أن السفن كانت تسير ببطء شديد من جراء التيارات المائية ، واضطرت السفن أن تغير اتجاهها فاصطدمت بعضها ببعض وانتهز النصارى هذه الفرصة فوجهوا إلى الأسطول الإسلامى سيلا من النار الاغريقية فأحرقوا بعضا منها ودفعوا بالجزء الباقى إلى أسفل المدينة لمحاولة السيطرة عليه وأسر بحارته ولكنهم فشلوا فى تلك الخطة وأفلت الأسطول الاسلامى من كارثة متوقعة .

ولكن إزاء هذا التصرف من جانب النصارى فان قائد البحر المسلم عقد العزم على أن ينتقم لهذه الهزيمة التى حلت بأسطوله ، بل صمم على إحراز النصر على الأعداء بأية وسيلة فحشد أمنع السفن وهيأ كل سفينة بمائة مقاتل من خيرة جنده الأشداء والذين كان يدفعهم الحماس الشديد للاستشهاد فى سبيل الله وفى سبيل

رفع راية الإسلام فوق تلك المدينة التى تمثل حجر الزاوية فى السيطرة على أوربا من الشرق ، بل هى المفتاح للدخول إلى أوربا .

وزحفت السفن إلى أسوار المدينة وبذلت جهداً عنيفاً وجباراً لاقتحامها ولكن المدينة قاومت بسيل من النار الاغريقية وكان قد تولى الدفاع عنها امبراطور جديد الذى استطاع أن ينقذ المدينة من السقوط بخدعة بارعة وساعدت الظروف الطبيعية الروم على أن يتوقف العرب عن نشاطهم الحربى ، فقد بدأ فصل الشتاء ببرده القارص وثلوجه المتراكمة والتى أدت إلى توقف القتال ولكن ما أن أنقشع الشتاء حتى أعاد المسلمون نشاطهم الحربى ووصلت نجدات من مصر وسوريا وسائر الأقاليم الاسلامية من أجل الجهاد المقدس واستمر الحصار طوال حكم سليمان بن عبد الملك ولكن بعد وفاة سليمان وتولى خلافة المسلمين الخليفة عمر بن عبد العزيز عام ٩٩هـ / ٢٧ عام فانه أمر المسلمين برفع الحصار عن المدينة المحاصرة والعودة بالقوات الاسلامية إلى دمشق حاضره المسلمين .

نتائج الغزوة الثانية :

إن بعض مؤرخى الغرب والعرب قد نسبوا فشل تلك الغزوة التى أعد المسلمون لها كل عدة وجهزوا لها كل ما استطاعوا من قوة إلى قائد الحملة مسلمة بن مروان فهو على حد قولهم وإن كان مقاتلا شجاعا إلا أنه كان عاجزا عن اتخاذ القرار النهائى ، بل إنه لم يكن له رأى فى الحرب بل لم يكن من بين أصحابه من يسدى له النصح ولا حتى مشاركته الرأى . ولكن العرب والمسلمين ما كان يضيرهم هـــذا الانسحاب فى شىء كما حدث فى المرة السابقة فى عهد معاوية بن أبى سفيان إذ لم يلبثوا أن عادوا أكثر قوة وأشد بأسا فى قتال الروم بروح عالية فى قتالهم واستطاعوا دك حصونهم وهدم قلاعهم التى كانت فى آسيا الصغرى .

ولكن رغم كل هذا فإن التطلع إلى غزو القسطنطينية واطوائها تحت راية الإسلام رغم فتح أوربا من الغرب ظل حلما يداعب أفئدة المسلمين على تعاقب العصور والأجيال ففى عهد الدول العباسية والتى نقلت الخلافة الإسلامية من دمشق إلى بغداد بعيدا عن عاصمة الروم ، إلا أن الغزوات تكررت ، ففى عهد الخليفة

العباس المهدى خرجت غزوة كبيرة إلى المدينة لكنها لم تستطع أن تحقق أهدافها لظروف داخلية ، وتكررت الغزوات فى عهـــد الخليفة هارون الرشيد على القسطنطينية رغم سيطرة المسلمين على البحر المتوسط سيطرة كاملة إلا أن الغزوة لم تستطع أن تحقق أهدافها وإن كانت قد أضعفت موقف المدينة وامبراطوريتها فى نظر باقى دول أوربا وليس معنى هذا عدم انطواء القسطنطينية تحت راية الاسلام (١) هو وقوفها فى وجه المد الإسلامى الزاحف من الشرق إلى أوربا لنشر الدين الاسلامى الخالد فى سهول أوربا الشرقية ، بل على العكس من ذلك نجد الاسلام يندفع بقوة كاسحة ليثبت دعائمه ويقوى أركانه وينتشر فى بلغاريا والمجر وغيرهما من دول أوربا المطلة على البحر الأسود فى قلب القارة الأوربية .

وتلك لمحة من لمحات الجهاد الاسلامى فى القرن الأول الهجرى من أجل نشر عقيدة الاسلام فى أوربا .

الإسلام والمسلمون فى جزيرة رودس

كان لمعاوية ابن أبى سفيان والى الشام الفضل الأول فى إنشاء أول قوة بحرية إسلامية ، إذ أنه كان باعثاً للنهضة العربية البحرية فى البحر الأبيض المتوسط ، وهو أول والى عربى يشترك ويقود معركة حربية بحرية ضد الدولة البيزنطينية فى البحر المتوسط والتى استطاع من خلال تلك المعركة أن يحقق للعرب والمسلمين وجودهم وكيانهم البحرى فى ذلك البحر الذى سيطر المسلمون على شواطئه الشرقية والجنوبية وكانت معركة ذات الصوارى أول نصر عربى إسلامى فى تاريخ

---

(١) من المعروف والثابت تاريخيا أنه بعـــد أن قامت دولة سلاطين العثمانيين فى آسيا الصغرى فإن القسطنطينية قـد تعرضت لعدة غزوات متوالية ومتصلة من جانب سلاطين بنى عثمان ولكن كل هذه الغزوات لم تستطع أن تحقيق أهدافها حتى استطاع السلطان محمد الفاتح أن يقوم بفتحها فى عام ٨٥٩ هـ / ١٤٥٣م ويتخذهـا عاصمة لدولة الأتراك العثمانين ويغير اسمها إلى اسطانبول وبذلك انطوت هذه المدينة تحت راية الاسلام بل إنها أصبحت من أكبر المدن الاسلامية فى أوربا والتى منها خرجت السرايا الاسلامية لنشر الاسلام فى أوربا الشرقية حتى وصلت إلى أبواب مدينة فينا عاصمة النمسا الحالية .

المسلمين البحرى بل أنها كانت تعد يرموكا ثانية إذ استطاع المسلمون أن يضعوا بهذه المعركة حداً لتبجح البحرية البيزنطية .

وذلك لأن معاوية كان يرى ضرورة السيطرة على شواطىء البحر المتوسط المواجهة للشاطىء السورى وأيضاً إخضاع الجـــزر الموجودة فى مقابله ذلك الشاطىء ورفع راية الإسلام فوقها واتخاذ خطة الهجوم على العدو فى عقر داره بدلا من السياسة الدفاعية التى اتبعها المسلمون ضد الروم .

ولقد شغل معاوية فترة من الزمن بنزاعه مع الخليفة الراشد الرابع على بن أبى طالب رضى الله عنه ، على المضى فى فتوحاته التى كان قد بدأها ، ولكن بعد استشهاد على بن أبى طالب أصبح معاوية بن أبى سفيان صاحب السلطة العليـا فى الدولة العربية الإسلامية ، ومن ذلك الوقت أخذ معاوية يفكر فى غزو الروم فى عقر دارهم ، وجاءت فكرة غزو القسطنطينية ولم يكن غزو تلك المدينة المنيعة يتم دون حصول الأسطول الاسلامى على خط أول للهجوم ودون إيجاد مركز متقدم للإمداد والتموين لذلك الأسطول الإسلامى الذى بدأ يأخذ طريقه للظهور كقوة بحرية فى عالم البحر المتوسط ، ومن هنا كان التفكير فى غزو جزيرة رودس وسيطرة المسلمون عليها .

ورودس هذه التى هى محور الدراسة جزيرة صغيرة من جزر بحر الأرخبيل فى البحر المتوسط وتقع إلى الجنوب الغربى من بلاد الأناضول وتبعد عن شواطىء آسيا الصغرى « تركيا » . سبعة عشر كيلو متر ومساحتها حوالى ١٤٦٠ كيلو متر وهى ذات أرض جبلية وأعلى جبالها جبل تيبروس الذى يبلغ ارتفاعه ١٢٤٠ متر وأعظم أنهارها نهر « فسكو » وقد أكسبها موقعها بين القارات الثلاثة أوربا ، آسيا ، أفريقيا أهمية كبرى فى التاريخ الإسلامى وكان قربها من الدولة الإسلامية قد جعلها فى متناول الحملات الإسلامية فى كثير من المناسبات .

وقد ذكر البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان أن رودس من أخصب الجزائر وهى فى نحو ستين ٦٠ ميل فيهـا الزيتون والكروم وأشجار صنوبر والتين والعنب والبرتقال وغيرها من الثمار وبها المياه العذبة وذكر ابن الأثير فى كتابه

الكامل عن حوادث عام ٥٣ هـ / ٦٧٣ م أن رودس فتحها جنادة بن أمية الأزدى ، وجنادة هذا أحد من روى عنه الحديث الشريف ولقى أبا بكر وعمر ابن الخطاب ومعاذ بن جبل ومات عام ٨٠ هـ / ٧٠٠ م وكان خير من خبر البحر المتوسط والقتال البحرى فيه وكانت له فيه معارك ضد الروم وأسطولهم وأنه استطاع أن يغزو عدة جزر فى هذا البحر وأن يجعل الأسطول الرومى يخشى بأس وقوة الأسطول الاسلامى ورجاله .

وقد فتح رودس عنوة ونزل المسلمون بها وهم على حذر من الأسطول الرومى لأنهم كانوا يخشون أن يعترضهم الروم وهم فى عرض البحر لأن سفن الأسطول الإسلامى كانت قليلة العدد بالنسبة للأسطول الرومى المنتشر فى البحر المتوسط ولم يكن قد أعلن بعد الاستعداد التام بين القوات الإسلامية البحرية لغزو رودس نظرا لصغرها — وكان المسلمون يريدون غزوها والسيطرة عليها فى سرية تامة — ولكن مع هذا فإن لها أهميتها لمن يسيطر عليها — وفى ذلك الوقت كان المسلمون قد سيطروا على الجهات الواقعة على ساحل الأناضول وهم فى زحفهم البرى للسيطرة على القسطنطينية وكان الخليفة معاوية بن أبى سفيان قد أرسل هذه الحملة البحرية — واتخذ المسلمون لهم حصنا قوياً تجاه جزيرة رودس وذلك للإمداد والتموين للقوات الذاهبة للسيطرة عليها والوقوف على حركة الأسطول الإسلامى المحارب والمتجه إلى رودس .

ووصلت السفن الإسلامية إلى رودس وأخذت السفن تذهب وتجىء أمام حصون رودس القوية وقلاعها المجهزة بالرجال والعتاد والتى كان الروم قد حصنوها أحسن تحصين وذلك لقربها من العاصمة القسطنطينية وكذلك لخوفهم من هجوم اسلامى متوقع عليها نظرا لحساسية موقعها بالنسبة لهم . ولكن جنادة ابن أمية إستطاع أن ينزل قواته بين أضعف حصنين وأن يسيطر على كل الجزيرة فى فترة زمنية قصيرة بعد قتال عنيف مع الروم الموجودين فيها ، ويقول محمد بن سعد عن الواقدى أن المسلمون قد أقاموا برودس بعد سيطرتهم عليها سبع سنوات فى حصن أقاموه لهم وبنوا حوله مساكن لهم وبنوا مسجداً لإقامة الشعائر الدينية فيه وقراءة القرآن الكريم ، ثم أنهم بعد ذلك أخذوا فى إصلاح أرضها وفلاحتها ثم أخذوا يدخلون الزراعات المعروفة فى بلاد الشام والشرق إليها .

وأن مجاهد بن جبر أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مقيما بالجزيرة وكان يقرىء الناس القرآن الكريم ، وذكر أيضا محمد بن عمر بن الخطاب أن العرب قاموا بالزراعة فى الجزيرة واتخذوا بها أموالا ومواشى يرعونها وأنهم كانوا إذا دخل عليهم المساء أدخلوها الحصن وأقاموا لهم ناطورا يحذرهم مما فى البحر ومما يريدهم بكيد من الأعداء وكانوا على حذر من أعدائهم وكانوا أشد حذراً من الروم .

الاستقرار بالجزيرة :

وحينما فتحت الجزيرة فإن معاوية بن أبى سفيان أنزل بها قوما من أهل بلاد الشام وذلك بعد أن توطدت دعائم الإسلام والمسلمون بها ورتب لهم العطاء بل أنه أجزل لهم فيه وكان يعاقب بين الناس فيها وقد أصبحت بعد ذلك قاعدة هامة للمسلمين وخط هجوم أول على الروم مثل قبرص وغيرها من جزر البحر المتوسط التى خضعت للسيادة الإسلامية فيما بعد ، بحيث أخافت العدو النصرانى واتخذها المسلمون مركزاً لإمداد الأسطول المتجه لغزو القسطنطينية ، ولكن بعد ذلك أضطر المسلمون إلى رفع الحصار عن القسطنطينية بعد حصار دام سبع سنوات ، بعد استفادة الروم من استخدام النار الإغريقية ضد سفن الأسطول الإسلامى ، كذلك كان موت الخليفة معاوية بن أبى سفيان كان سببا فى ترك المسلمون لجزيرة رودس والانسحاب منها .

وقد اختلفت المصادر التاريخية فى من أمر جنادة بن أمية بالإنسحاب من الجزيرة ، هل هو معاوية بن أبى سفيان أم ابنه يزيد ولكن المرجح أن معاوية عندما شعر بدنو أجله أمر بسحب القوات الإسلامية المحاصرة لمدينة القسطنطينية وأيضا من بعض جزر البحر الأبيض المتوسط والتى كانت قد خضعت للسيطرة الإسلامية ومنها جزيرة رودس وذلك لحماية الأمن والنظام فى داخل الدولة الإسلامية وخوفا من الاضطرابات التى ربما تحدث داخل الخلافة الاسلامية وذلك من جراء عدم إجماع المسلمين على الاتفاق على مبايعة يزيد بن معاوية خلفاً لأبيه ، وبذلك فان قرار انسحاب المسلمين من جزيرة رودس وكذلك من جزيرة أرودا كان قرار معاوية بعد أن مكث المسلمون بها سبع سنوات .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يقوم فيها المسلمون بغزو جزيرة رودس بل أنه قد سبق لهم أن قاموا بعدة غارات سابقة عليها ومنها الغزوة التى كانت فى عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ، وقد ذكر أرشيباليد لويس فى كتابه القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، أن المسلمون قاموا بحملة بحرية على جزيرة رودس عام ٣٢ هـ / ٦٥٢ م وقد خرجت السفن التى قدرها المؤرخون بمائتى سفينة إلى هذه الجزيرة ، حيث عاد المسلمون ومعهم الأنقاض النحاسية لتمثال الشمس ، وقد قال ابن جرير الطبرى فى كتابه تاريخ الأمم والملوك عن هذا التمثال هو تمثال من البرنز وهو ضخم ومشهور وقد تم بيعه لتاجر يهودى من حمص ويقال أن معدن هذا التمثال قد بلغ ٨٠٠ جمل .

وقد ذكر أيضاً أنه فى عام ٣٨ هـ / ٦٥٨ م فان المسلمون قد أغاروا عليها بقيادة عقبة بن عامر الفهرى وعاد العرب بعد تلك الغزوة ومعهم الغنائم والأسلاب وذكر أيضاً أن المسلمون أغاروا عليها مرة أخرى عام ٦٠ هـ / ٦٨٠ م بعد أن اشتبكوا مع الأسطول الرومى فى عدة معارك بحرية ، ولم تنقطع غزوات المسلمين لجزيرة رودس وتداولت السيادة عليها الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية والصليبيين ومن ذلك أن مسلمة بن عبد الملك استولى عليها وهو فى طريقه لحصار القسطنطينية عام ٧١٧ م وبعد أن لم تحقق غزوة القسطنطينية أهدافها فان المسلمين انسحبوا من الجزيرة وفى مطلع القرن ٩ م حاول هارون الرشيد فتحها ولكن القوات الإسلامية لم تتمكن من ذلك نظراً لمناعة حصونها وقوة دفاع الحامية البيزنطية لها وظلت تابعة لبيزنطة .

ولما كانت الدولة الأموية قد صرفت النظر عن غزو أوربا من جهة الشرق واتجهت إلى الغزو الإسلامى غربا حيث وضع المسلمون أقدامهم فى الأندلس غرباً وبذلك فقد ظهرت فكرة إتمام غزو أوربا عن طريق روما والقسطنطينية ثم الوصول إلى دمشق فإن ذلك جعل المسلمون لا يفكرون فى العودة إلى غزو رودس أو الاستقرار بها ولكن رغم قصر المدة التى استقر فيها المسلمون بالجزيرة ورغم انشغالهم بالقتال والجهاد ضد الدولة البيزنطية ومحاصرة القسطنطينية إلا أنهم أقاموا بها القلاع والحصون ثم نقل العدد الكثير من المسلمين إليها من

بلاد الشام وعمل المسلمون على نشر الاسلام بين البقية الباقية من الروم بها وأقاموا لهم بها مسجداً ودارا لتحفيظ القرآن الكريم وقاموا بزراعة أرضها وفلاحتها واستغلال معادنها ووضعوا بها جذور حضارتهم الإسلامية الزاهرة والتى قام النصارى بعد انسحاب المسلمين منها بالقضاء على كل أثر تركه المسلمون على أرض الجزيرة .

ومن هذا العرض لقصة الإسلام والمسلمين فى جزيرة رودس يتبين لنا أن المسلمين لم يفكروا فى ركوب البحر طمعا فى الغنائم ولا للقيام بأعمال القرصنة كما حاول أن يصور ذلك بعض مؤرخى الغرب من النصارى وإنما كان ذلك الغزو الإسلامى فى البحر المتوسط جهاد فى سبيل الله وفى سبيل إعلاء كلمته ونشر راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

كذلك يتبين لنا أن الغزو الاسلامى للجزيرة والعمل البحرى فى ذلك البحر لم يكن مجرد غارات عارضة من أجل السلب والنهب بل أن الغزو كان يتم وفق خطة مرسومة ومخطط لها قبل القيام بأى عمل وأن السيطرة الاسلامية على كل الجزر الواقعة فى البحر المتوسط والتى تتعرض لها بعد ذلك لم يكن الهدف من غزوها إلا أن تكون خط دفاع وهجوم فى آن واحد فهى تعتبر دفاع عن شواطىء البلاد الإسلامية فى الشام ومصر وشمالى أفريقيا والأندلس ، وخط هجوم للانطلاق منها لغزو القارة الأوربية، بالإضافة إلى أنها كانت مراكز لتموين وإمداد الأسطول الاسلامى والذى أصبحت له السيادة والسيطرة على البحر المتوسط الذى أصبح بحيرة عربية إسلامية ولم يكن الأسطول الرومى يستطيع التحرك من موانيه إلا بحذر وخوفا من الأسطول الاسلامى وبهذا يمكن القول أن غزو رودس كان فى الواقع مقدمة لغزو القسطنطينية . ونقطة ينطلق منها الأسطول الاسلامى لقطع المواصلات البحرية بين بحر مرمرة وبحر إيجه فى البحر المتوسط .

السيادة الاسلامية على الجزيرة بعد ذلك :

لقد حاولت الدولة العباسية أن تسيطر على الجزيرة ولكن تلك المحاولة لم تحقق النجاح بل أنها ظلت تابعة لبيزنطية حتى استولى عليها فرسان الاسبتارية الصليبيين فى عهد الحروب الصليبية الدائرة رحاها فى بلاد الشام عام ١٣٠٨ م ،

وفى عهد الدولة المملوكية فى مصر فقد أراد المماليك فتح جزيرة رودس ومن هنا فإن القيادة المملوكية فى عهد السلطان المملوكى جقمق أرسلت ثلاث حملات لغزوها الأول عام ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م وكانت مكونة من خمس عشر سفينة إلا أن الصليبيين تمكنوا من صدها لأنهم علموا بقيامها بواسطة جواسيسهم فى مصر فاستعدوا لقتالها الاستعداد التام وحصنوا الحصون والقلاع ودافعوا عنها دفاعاً شديداً فاضطر المماليك للانسحاب ولكن السلطان جقمق لم يقنع بنتيجة هذه الحملة لذا فإنه استعد لحملة ثانية إلى رودس فجمع المعدات الحربية وبنى السفن وسارت تلك الحملة إلى رودس عام ٨٤٧ هـ / ١٤٤٣ م إلا أن اشتداد الزوابع والأعاصير فى الشتاء اضطر الحملة إلى العودة إلى مصر بعد إبحارها بعدة أيام قليلة. وكانت الحملة الثالثة التى أرسلها جقمق نفسه عام ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م وهذه الحملة استطاعت أن تحقق أهدافها واستطاعت أن تخرب الجزيرة وتستولى عليها فترة من الزمن بعد أن كسرت مقاومة الصليبيين بها ، ولكن كلا من المماليك وفرسان الصليبيين كانوا قد ملوا طول القتال فعقدوا الصلح وظل الفرسان مسيطرين على الجزيرة حتى عام ٩٢٩ هـ / ١٥٢٢ م حين استولى عليها الأتراك العثمانيين فاضطر الفرسان الإستبارية بعد خضوعها للسيادة الإسلامية العثمانية إلى الرحيل منها إلى جزيرة مالطة فأقاموا بها حتى استولى نابليون عليها عام ١٧٩٨ م وهو فى طريقه إلى مصر ، ثم عادت إلى الأتراك العثمانيين بعد انسحاب الفرنسيين من مصر لكنها خضعت بعد ذلك للإنجليز ، ولكن إيطاليا استولت عليها عام ١٩١٣ م وظلت تحت سيادتها ولم تضم لليونان إلا فى عام ١٩٤٨ م ، وقد دام الوجود الإسلامى فى جزيرة رودس أكثر من ٢٩١ سنة ولا زال يوجد بها إلى اليوم إعداد ليست كثيرة من المسلمين لكنها تعتبر من الأماكن الرئيسية فى اليونان التى توجد بها جالية إسلامية كبيرة ، وحالة المسلمين فى رودس اليوم تبعث على الأسى والحسرة فى النفوس ذلك لأن هذه المجموعة المسلمة تعيش شبه منعزلة عما يمت إلى الإسلام بصلة ولم يصل إليهم أى داعية إسلامى ابتداء من الاحتلال الايطالى عام ١٩١٣ م ولم يظهر بينهم من يفقه الناس فى الدين ويدعو الناس إلى وجود مدارس دينية، فأصبح أبناء الجيل الجديد لا يفقهون شيئاً عن أمر إسلامهم ومن النتائج المؤلمة لهذا الجيل أن أصبحت المسلمات تتزوجن بالنصارى وبهذا

أصبح الإسلام فى تلك الجزيرة فى خطر وهم بحاجة ماسة إلى من يرشدهم ويعلمهم أمور دينهم وإقامة الدراسات العلمية الاسلامية والدينية .

إننا نضع هذه الحقائق أمام المسئولين فى عالمنا الإسلامى لكى يمدوا يد العون الروحى لإخوانهم مسلمى رودس قبل أن يبتلعهم الطوفان اليونانى الذى يرغب فى القضاء على الاسلام فى كل أرض اليونان .

الاسلام والمسلمون فى جزيرة قبرص

لقد حاولت قوى الصليب الحاقدة على الإسلام منذ فترة ليست ببعيدة أن تقتلع جذور الإسلام من قبرص وأن تقضى على البقية الباقية من إخوة الإسلام فى تلك الجزيرة التى كانت كلها أرض إسلامية على مر الأيام والتاريخ ولكن تلك المحاولات قد فشلت بعد أن تصدى المسلمون لها وثبت الله دعائم دينه فى أرض قبرص التى هى الجزيرة الوحيدة من بين جزر البحر الأبيض المتوسط التى لا زالت تعيش فيها جماعات إسلامية كبيرة ترفع إسم الله وتسبح بحمده فى وسط مياه ذلك البحر المتوسط .

ولكن الذى يلقى نظرة فاحصة إلى البحر المتوسط وإلى الجزر الواقعة فيه ويعود بالذاكرة إلى قوة الأمة الإسلامية وعزها ومجدها فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) إلى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) يجد أن البحر المتوسط كان بحيرة إسلامية عربية تخضع جميع جزره وكل شواطئه لراية الإسلام الخفاقة العالية التى بسطت أنويتها على أنحاء كثيرة من العالم القديم ذلك لأنه لم تكن هناك قوة غير قوة الإسلام فى ذلك البحر بل إن الجزر الواقعة فيه من قبرص ورودس شرقاً إلى جزر البليار وسردينا وكورسيكا غربا كانت تخضع لراية التوحيد راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

فكانت قبرص ورودس وكريت وصقلية ومالطة وكورسيكا وسردينا وجزر البليار كلها جزر إسلامية بل أنها كانت تعتبر خط الدفاع الأول عن ديار الإسلام الواقعة على شاطىء البحر المتوسط الجنوبى والشرقى ومن ناحية أخرى كانت تعتبر خطا للهجوم وموقعاً أماميا متقدما لنشر الإسلام فى قارة أوربا .

أما عن قصة الإسلام والفتح الإسلامى لقبرص فهذا ما سنحاول أن نلقى عليه الضوء ونضعه بين يدى إخوة الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها لكى يقفوا بكل قواهم لمساندة إخوانهم المسلمين فى قبرص الذين يتعرضون لخطر حملة صليبية تهدف إلى إفنائهم وصبغ الجزيرة بالصبغة المسيحية .

وقبرص التى هى محور الدراسة تعتبر من أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط وأقربها إلى ساحله الشرقى وتبعد عن تركيا وساحلها الجنوبى حوالى ٦٥ كم وعن الساحل السورى ٩٠ كم وعن الساحل المصرى ٤٠٠ كم وعن ساحل اليونان ٩٠٠ كم ويبلغ طولها ٢٣٥ كم وعرضها ٩٠ كم وتبلغ مساحتها ٩٢٥١ كم٢ . أى أن مساحتها تقترب من مساحة لبنان وتتألف أرض قبرص من سلسلة جبلية توازى الساحل الشمالى وكأنها تتمة لجبال الأمانوس السورية وتمتد نحوها مشكلة رأس أندريس وتوجد مرتفعات فى الوسط والجنوب الغربى وهى أكثر عرضا ويصل ارتفاعه إلى ٣١٠٠ م فى قمة تروودوس وتعتبر تتمة لجبل الأقرع فى سوريا وتقوم بين هذين القسمين أودية وسهول تقوم فيها العاصمة نيقوسيا إضافة إلى السهول الساحلية التى تحيط بالجزيرة والتى تضيق أحيانا وتتسع أخرى .

ويزرع فى قبرص الحبوب والخضيات والكروم والزيتون والبطاطا والدخان وتشكل الغابات بها ٢٠ ٪ من المساحة الكلية للجزيرة .

وهى من جزر شرق البحر المتوسط وتعد الثالثة فى ذلك من حيث الكبر والثانية فى القيمة التاريخية والإقتصادية وقد لعبت الجزيرة دوراً هاما وبارزاً فى التاريخ الإسلامى يشبه الدور الذى لعبته جزيرة صقلية فى نقل حضارة الإسلام وثقافتها إلى أوربا وهى واقعة فى الزاوية الشمالية الشرقية فى البحر الأبيض المتوسط وهى مؤهلة بالسكان والبلدان وقد ذكر أبو الفدا فى كتابه البداية والنهاية أخذا عن الواقدى أنها جزيرة غربى بلاد الشام فى البحر مخلصة لوحدها وقد كانت فى القرنين السادس وأوائل السابع الميلاديين تخضع لسيطرة البيزنطيين وتتخذ قاعدة لهم واستطاعوا من خلال وجودهم بها السيطرة على شرق البحر المتوسط والتحكم فى طرق التجارة الرئيسية وقد أدت قبرص خدمات جليلة للبحرية البيزنطية .

نظرة عامة :

لقـــد وقع الـكتاب الغربيون والمستشرقون فى خطأ فى قولهم إن العرب سكان البوادى والصحراء كانوا غير راغبين فى مزاولة الملاحه البحرية فى البحر المتوسط وغيره من البحار المفتوحة وأن الذين قاموا بالفتح وشاركوا فيه هم سكان المناطق المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط ولـكن الحقيقة التاريخية غير ذلك إذ نجد أن عرب الجزيرة ما كادوا يستقرون بعد أن تم لهم فتح بلاد الشام ومصر حتى مرنوا البحر واستخدامه واستعانوا بالمسلمين سكان هـذه البلاد فى بنـاء الأساطيل البحرية والتجـارية ولم يطل بهم الزمن حتى استطـاعوا أن يصبحوا أساتذة البحرية فى العالم وعنهم أخذ الغربيون فن الملاحة البحرية ومصطلحاتهـا وفن القتال البحرى وفن بناء السفن والألقاب العسكرية البحرية ولم يطل بهم الاستقرار فى بلاد الشام ومصر حتى استطاعوا أن يطووا جزيرة قبرص تحت راية الإسلام ويرفعوا فوق ربوعها راية لا إله إلا الله محمد رسول الله

وتعتبر جزيرة قبرص أول جزر البحر المتوسط التى تطلع إليها المسلمون منذ أن قامت بحريتهم الاسلامية فى القرن السابع الميلادى وذلك من أجل موقعها لتأمين فتوح المسلمين فى الشام ومصر وأفريقيا ثم أنها محطة بحرية هامة للتجارة فضلا عن ثروتها ولقد كانت المعارك لا تزال دائرة بين المسلمين والروم وكذلك فإن المهمة التى انطلق المسلمون من أجلها لم تنتهى بعد حيث لا تزال دولة الظلم والكفر تسيطر على جزء واسع من الأرض أنذاك والجـاهلية لا تزال تتحكم فى البشرية وأشعة النور لا تكاد تصل إلا إلى بعض الأفراد القلائل الذين لا يسمع لهم صوت ، ومهمة المسلمين كانت ولا تزال حتى اليوم ، إخراج الناس من الظلمات إلى النور والقتال حتى تدك معـاقل الظلم من الأرض (وما لـكم ألا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ، الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) . من أجل ذلك جاهد المسلمون وقاتلوا وقتلوا فى سبيل الله وفى سبيل إعلاء كلمة الحق وفى سبيل نشر الإسلام

فى كل مكان يسكنه قوم وفوق كل أرض تشهد العمران وذلك لكى يقوموا دولة الحق والعدل والمساواة ولكى يهدموا قلاع الكفر والشرك ويرفعوا إسم الله عالياً فى كل مكان .

الغزو الاسلامى زمن معاوية بن ابى سفيان :

كان معاوية بن أبى سفيان زمن ولايته على شمال الشام قد طلب من الخليفة الراشد الثانى عمر بن الخطاب أن يأذن له بالغزو فى البحر المتوسط ومهاجمة الروم وسفنهم الحربية التى تهاجم الشواطىء السورية وذلك لكسر شوكتهم ومغالبتهم فى البحر ، ولكن الخليفة عمر رفض ذلك الطلب لأن المسلمين لم يكن قد تمكنوا بعد من المخاطرة فى البحر ولم يكن قد أتقنوا فن القتال البحرى بعد وكان يخشى عليهم من خطر البحر وأهواله بعد أن كتب عمرو بن العاص للخليفة عمر واصفا البحر وأهواله بعد أن كان عمر بن الخطاب قد طلب منه أن يصف له البحر والمخاطرة فيه . ولكن ابن الخطاب رفض طلب معاوية حرصا على أرواح المسلين .

ولكن تلك الرغبة ظلت حبيسه فى نفس معاوية حتى تولى الخلافة الإسلامية الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان فأعاد معاوية فكرة الغزو البحرى للجزيرة والاستئذان من عثمان للسماح بغزو الروم فى عرض البحر وذلك إظهاراً لقوة البحرية الإسلامية النامية ونشر لواء الاسلام فوق أديم الجزر الواقعة فى عرض البحر المتوسط وبالذات الجزر الواقعة تجاه ساحل بلاد الشام وبعد تردد وافق الخليفة عثمان بن عفان على ذلك الطلب الذى ألح فيه معاوية كثيراً واشترط على معاوية فى خطاب أرسله إليه إلا يحمل الناس على ركوب البحر كرها ، بل تكون الخدمة البحرية فى الأسطول الاسلامى عن طريق التطوع وأقر معاوية بعد ذلك عبد الله بن قيس أمير على البحر ، بعد أن كان خطاب عثمان قد وصل معاوية عام ٢٧ هـ والذى قال فيه. أما بعد فقد شهدت ما رد به عليك عمر حين استأذنته فى غزو البحر . . . وأن ركبت البحر ومعك امرأتك فأركبه مأذونا لك والا فلا . . .) وكانت عملية غزو قبرص عام ٢٨ هـ غارة بحرية كما كانت فى الوقت نفسه عملا دفاعيا عن شواطىء الشام .

وقد جمع معاوية بن أبي سفيان عدداً كبيراً من سفن المدن الساحلية وفرقاً محاربة من مصر وبلاد الشام ، وقد سهل لمعاوية وللمسلمين الإعداد لهذه الغزوة بفضل استيلائهم على دور الصناعة الرومانية في الاسكندرية ومدن الشام سليمة دون أن يتمكن الروم من تخريبها .

والراجح أن هذه القوى البحرية التي جمعها معاوية لم تكن في مجموعها مكونة من العرب فقط بل اشترك فيها كثيراً من مسلمي بلاد الشام ومصر الذين كانوا حديثي عهد باعتناق الإسلام ومن هنا فإن الحماس الديني لديهم في الاشتراك في تلك الغزوة كان قوياً ، ويؤكد ذلك الرأي اشتراك السفن التجارية التي كان عليها أهل سوريا ومصر في تلك الغزوة مع ما يكفي هذه الغزوة من الملاحين الذين خبروا البحر المتوسط وعرفوا كل مكان في جزره وكذلك مرنوا فن القتال والملاحة الجيدة فيه والذين كانوا يقومون بالتجارة بين موانى ذلك البحر المختلفة وخاصة بين موانى مصر وسوريا وآسيا الصغرى وأيضاً موانى قبرص وكريت ، وكانوا قد خبروا موانى جزيرة قبرص وعرفوا الأماكن التي يمكن أن تلجأ إليها السفن المهاجمة والحماية من الأمواج وهبوب الرياح وهبوب العواصف البحرية القوية، وقد أشار إلى ذلك أرشيبالدلويس في كتاب القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط بأن العناصر الداخلة في الإسلام حديثا من مصر وبلاد الشام كان لها دور هام وفعال في هذه الغزوة وذلك عن طريق السفن الحربية والتجارية ، في حين أن المقاتلين الشجعان الذين ظهرت بطولتهم القتالية وقدرتهم الحربية هم أبناء الصحراء من الجزيرة العربية .

الاستيلاء على الجزيرة :

خرج معاوية بن أبي سفيان في مراكب كثيرة وحمل امرأته وأخته وحمل عبادة بن الصامت امرأته كذلك وكان ذلك بعد انحسار شتاء عام ٢٨ هـ / ٦٤٨ م وجاء إليه من مصر بسفن كثيرة أيضاً عبد الله بن أبي سرج وتمكن مع المجاهدين من المسلمين من فتح الجزيرة في نفس العام ، وحالف معاوية التوفيق في تلك

الغزوة لأن المسلمين خرجوا كعادتهم للجهاد فى سبيل نصرة دين الله الخالد ونشره فى شتى بقاع الأرض .

ويذكر المؤرخون العرب (ابن الأثير، البلاذرى ، القلقشندى) أن الأسطول الإسلامى الذى ظلته راية الإسلام ، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله قد قدر عدده بـ ١٧٠٠ ألف وسبعمائة سفينة مابين حاملة جنود ومؤن وعتاد ، وهذا يدل على القدرة العسكرية والاستعداد للحشد والتجهيز للمعركة البحرية الفاصلة من أجل الاستيلاء على الجزيرة ، كذلك الاستعداد لملاقاة أى أسطول رومانى يعترض تلك القوة البحرية الكبيرة فى البحر المتوسط ، واستطاع المسلمون الاستيلاء على الجزيرة فى يسر وسهولة كما استولى المسلمون على غنائم كثيرة وفرضوا على الجزيرة أن يدفع سكانها للمسلمين كل عام جزية سنوية قدرها ٧٢,٠٠٠ إثنين وسبعون ألف قطعة من الذهب لعاصمة الخلافة الأموية دمشق واشترط المسلمون عليهم أن لا يقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم وأن يعلموا المسلمين سير عدوهم من الروم إلى ديار الاسلام، وإن ركب المسلمون البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرص ، ولم ينصروا عليهم أحد من أعداء الإسلام .

ومن هذا الشرط الذى يقوم فيه أهل قبرص بالتعهد بإبلاغ المسلمين عن أية إستعدادات يقوم بها الروم ، وعن تحركات سفنهم فى البحر المتوسط ، يتبين لنا سر إهتمام المسلمين وقيادتهم السياسية والعسكرية بقوه الروم البحرية ، ذلك لأن الأسطول الاسلامى كان لا يزال فى طور التكوين ولم يكن قد بلغ من القوة البحرية بحيث يستطيع أن ينهى الوجود الرومى البحرى فى البحر المتوسط ولم يكن قد أصبح نداً للأسطول الرومى أيضاً وأن كانت قوة الأسطول الاسلامى فى ذلك الوقت تعود بالدرجة الأولى إلى قوة إيمان مقاتليه وعزمهم على الجهاد والاستشهاد فى سبيل إعلاء كلمة الحق والدين .

وكان لهذا النجاح الباهر الذى حققته القوة البحرية الاسلامية الناشئة أثره الكبير فى تشجيع المسلمين على القيام بسلسلة من الغارات البحرية من قواعدهم البحرية فى سوريا ومصر على جزر البحر المتوسط وموانى الدولة البيزنطية .

الغزو والاستقرار :

ولكن ما أن جاء عام ٣٢ هـ / ٦٥٢ م حتى قام أهل قبرص بنقض العهد الذى كان قد أخذه عليهم معاوية بن أبى سفيان وقاموا بمساعدة الأسطول البيزنطى للغزو فى البحر ضد المسلمين ومهاجمة الشواطىء السورية ولم يقوموا بإبلاغ المسلمين عن تلك التحركات ، بل أنهم أعطوهم عدداً من السفن البحرية الخاصة بأهل الجزيرة كذلك السماح لهم باتخاذ الجزيرة وموانيها مركزاً لتجمع الأسطول البيزنطى المتجه لغزو مدن الشام الساحلية .

وإزاء هذا الهجوم البيزنطى المباغت على الشواطىء السورية ، قام معاوية عام ٣٣ هـ / ٦٥٣ م بتجهيز حملة بحرية مكونة من ٥٠٠ خمسمائة سفينة واستطاع بتلك الحملة أن يرد الصفعة للروم بأن فتح قبرص عنوة وقتل وسبى عدداً كبيراً من أهلها ولكن لما رأى أهل الجزيرة ذلك وما حل بهم من أثر نقضهم العهد، طلبوا الصلح ولكن معاوية صمم على صبغ الجزيرة بالصبغة العربية الاسلامية فقام بإعلان فتح باب الهجرة فى سبيل الله أمام المسلمين إلى تلك الديار ، بل أنهم قام بنفسه بتجهيز اثنى عشر ألفاً من مسلمى سوريا كلهم أهل ديوان أى مستحقى العطاء بديوان الجيش ، بل أنه سهل للراغبين فى الهجرة من أجل نصرة دين الله إلى قبرص ، ورغب فى الهجرة إليها من المسلمين فيما بعد ذلك لكى يتم جعل تلك الجزيرة خط دفاع أول للمسلمين عن الشواطىء السورية وخط هجوم على الموانى البيزنطية والجزر الصغيرة المجاورة لها .

وكانت أكثر الذين هاجروا أو تم تهجيرهم إلى قبرص من رجال الدولة والادارة والتجار وأصحاب الحرف الأخرى والذين عملوا على الاستقرار وقام هؤلاء المساجد فى كل مكان استقرت فيه جماعات منهم فى شتى أنحاء الجزيرة وأيضاً اتخذت أماكن لقراءة القرآن الكريم وتحفيظه والعمل على نشر الاسلام بين سكان الجزيرة من النصارى ، وبعد أن استقرت الجموع الاسلامية الكبيرة بالجزيرة ، فإن معاوية ابن أبى سفيان قام فيما بعد بتجهيز أعداد كبيرة من سكان مدينة بعلبك وتجهيزهم إلى الجزيرة لكى ينضموا إلى إخوانهم فى الله والذين كانوا قد سبقوهم فى الهجرة

إلى تلك الديار وذلك عملا على القضاء على كل أثر للوجود غير الاسلامى بها ولصهر كل العناصر التى على أرض الجزيرة فى بوتقة الدين الاسلامى الحنيف .

وقد قام المهاجرين الجدد ببناء المدن والقرى فى الأماكن المختلفة من الجزيرة وعملوا على إدخال الصناعات العربية الإسلامية التى اشتهرت بها المدن السورية وقاموا بفلاحة الأرض وزراعتها بعد أن استصلحوا كثيرمن الأراضى غير المستغلة فى الزراعة وإدخال الزراعات الغيرمعروفة من قبل وبناء القلاع والحصون القوية المجهزة بالمقاتلة وعملوا على إدخال الجزيرة فى طور النمو الحضارى الإسلامى وبذر بذور الإيمان والتقوى والصلاح فى نفوس مواطن الجزيرة وظهور الحضـــارة الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله .

ظهور البحرية الاسلامية :

من هذا العرض يمكن القول أن عهد الخليفة عثمان بن عفان كان هو عصر بداية ظهور الأسطول الاسلامى العربى فى الدولة الاسلامية الواسعة والتى اشتملت على أجزاء كبيرة من قارتى آسيا وأفريقيا ، وظهرت بداية السيادة البحرية الاسلامية فى البحر الأبيض المتوسط ولا سيما بعد معركة ذات الصوارى والتى سيكون لها دور هام فى تأمين الشواطىء الاسلامية من غارات الروم ومن الغزو للشواطىء الجنوبية لأوربا وهى الشواطىء المطلة على البحر المتوسط ، كما اشتملت واتسعت الدولة العربية الاسلامية اتساعا عظيما شملت شعوباً وأمماً عرفت بتفوقها البحرى وخبرتها البحرية الطويلة فى فن الملاحة البحرية ، وقد وجد العرب أنفسهم مضطرين إلى قتال أعدائهم فى الدين والعقيدة من الشعوب الأخرى التى لم تظلها راية الاسلام بعد ذلك لأن تلك الشعوب لم تكن تريد أن يظهر نور الله على أرض الشام وباقى الأراضى الأخرى التى سيطر الاسلام عليها لأنهم كانوا يرون فى ذلك خطراً عظيما عليهم وعلى عقيدتهم الزائفة ، لذا رأى المسلمون ضرورة الحاجة إلى الاستيلاء على جزر البحر الأبيض المتوسط لأهميتها الاستراتيجية والحربية والقتالية فى الدفاع عن شواطىء سوريا وباقى مدن الشام ومصر التى رسخت فيها عقيدة الاسلام بعد أن تم إقصاء نفوذ الروم عن تلك الديار .

وكانت قبرص أول جزيرة من جزر البحر المتوسط ترفع راية التوحيد ويسكنها عدد من المسلمين فى منطقة قسطنطينية عاصمة الجزيرة آنذاك وفى غيرها من المدن والقرى الأخرى والذى كان يعنى تحويل دين أهلها إلى الإسلام لانصراف وهلاء المسلمين الذين هاجروا إلى قبرص إلى الدعوة التى كانت همهم الأول إضافة إلى السلوك الذى يفرضه الإسلام على معتنقيه بحيث يكون الفرد منهم قرآنا يمشى على الأرض وهو ما يدعوا الآخرين إلى الإعجاب بهذا الدين والاندفاع للدخول فيه، كما أن هناك التكافل العظيم فى المجتمع الإسلامى بحيث يشعر الانسان بالسعادة الحقة، وأن يعيش بين ظهرانى بشرية حقة لا بين ذئاب وأسود كما هو الحال فى المجتمعات الأخرى التى تعيش فى حكم الجاهلية ، وهذا التكافل وهذه الحياة تدفع الناس نحو الإسلام فيكونون من معتنقيه .

لذلك شعر المسلمون بضرورة بناء وتكوين أسطول بحرى يكون عوناً لهم فى سبيل نشر الرسالة الإسلامية الخالدة ولتحقيق أغراضهم الدفاعية عن ديار الإسلام وكذلك غزو بلاد الروم ولذا فقد كانت موافقة الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان على بناء الأسطول الإسلامى وحشده بالجنود هى بداية لعظمة المسلمين البحرية فيما بعد وظهورهم بمظهر السيادة البحرية طوال خمسة قرون متتالية فى البحر المتوسط الذى أصبح بحيرة إسلامية عربية ولم يعد هناك أثر لأى أسطول غير أسطول الدولة الإسلامية الكبرى .

يزيد بن معاوية والانسحاب من الجزيرة :

تقول المصادر العربية والأجنبية أن يزيد بن معاوية والذى خلف أباه إذ ذاك فى خلافة المسلمين وتوليه أمورهم هو الذى أمر بسحب القوات الإسلامية والمسلمين المهاجرين إلى قبرص من تلك البلاد وإعادتهم إلى أوطانهم التى هاجروا منها بعد أن قد مضى على استقرارهم بالجزيرة أكثر من ثلاثين عاما قاموا فى تلك الفترة بإظهار الجزيرة بالمظهر الإسلامى بعد أن أخذت ملامح الحضارة والثقافة الإسلامية تظهر للعيان على أرض قبرص لذا فبعد أن تم انسحاب المسلمين منها فإن النصارى من بقايا الرومان والذين كانوا لا يزالون يقيمون بالأجزاء الشمالية من

قبرص انتهزوا فرصة الانسحاب منهـــا فقاموا بهدم المدن والقرى والقلاع والحصون التى كان المسلمون قد أقاموها خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة كما هدموا المساجد التى أقيمت على أرض قبرص بل أنهم محو كل أثر لأى مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية ويبدوا أن الخلافات التى حدثت فى الدولة الإسلامية بشأن من هو أحق بالخلافة بعد موت معاوية بن أبى سفيان قد استدعت أن يقوم يزيد بهذا العمل الذى كان من جراءه أن عاد البحر المتوسط لسلطان بيزنطية مرة أخرى ، بعد أن كان أسطولهم قد انكمش فى موانيه ولم يعدله وجود أمام الأسطول الإسلامى الذى بدأ يرفع راية الإسلام خفاقة عالية فى مياه البحر المتوسط وهكذا كانت الخلافات الداخلية والمنازعات من أجل توليه الخلافة الاسلامية سببا فى ضياع أرض قبرص من أيدى المسلمين بعد أن كان قد استقر بها الإسلام وأهله لمدة تزيد عن ثلاثين عاما بعد أن كانت قد بدأت الصبغة الإسلامية العربية تظهر فى الجزيرة وبعد أن كانت هذه الجزيرة قد أصبحت أرضاً إسلامية أضيفت إلى الأرض الإسلامية الأخرى التى رفرفت فوقها راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

قبرص مرة اخرى :

لقد كان من جراء الثورات الإسلامية المتكررة والمطالبة بالحكم الإسلامى من قبل فئات عديدة سبباً فى ترك الأمويين للمجال الخارجى وذلك لأنه أصبح توطيد دعائم الحكم أهم شغل لهم لذا كان همهم ضمان حياد بعض القواعد أو عدم منازلتها وبقائها بعيدة عن التعاون مع الأعداء وكانت قبرص إحدى هـذه القواعد التى سعى الحكام لفرض الجزية عليها وإخراجها عن دائرة القتال ، لذا تكررت غزواتهم لها كلما نقض أهلها عهداً وعودتهم إليها أثر كل غزوة .

فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد خرجت الغزوات الإسلامية لغزو الجزيرة وقد تم تحقيق أهدافها ، ولـكن الامبراطور البيزنطى جوستنسيان حاول عام (٧٥ هـ / ٦٩٣ م) الـكر على المسلمين فطرده أهل قبرص من جزيرتهم ولـكن الروم إستطاعوا دخولها ورغم هذا فان الامبراطور البيزنطى عجز عن القيام بضغط يذكر على دمشق وانتهى أمره بهزيمة منـكرة ، خسر فيها

معظم قواته وذلك على حدود آسيا الصغرى وإزاء تلك الهزيمة النكراء ، فإن الامبراطور البيزنطى قام بطرد الكثير من أهالى قبرص من ديارهم ظنا منه أن أهل قبرص هم الذين ساعدوا وأعلموا المسلمين بخبر تلك الغزوة ، لكن هذا التصرف أثار شعوراً بالمرارة فى نفوس قواته من أهل الجنوب مما دفعهم إلى الالتجاء بسفنهم إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية وقد أضعف هذا التصرف من قبل بعض قواته المتمردة من قوة الأسطول البيزنطى .

وفى عام ١٠٩ هـ / ٧٢٦ م أغار على الجزيرة أسطول إسلامى قوى فرض عليها جزية كبيرة كالتى فرضت عليهم أيام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بعد أن حملوا معهم أعداد كبيرة من سكان الجزيرة واحتفظوا بهم كأسرى فى بلاد الشام وفى المقابل قامت أعداد كبيرة من سكان سوريا بالهجرة إلى قبرص وهذا أيضاً يدل دلالة قوية على الصلة التاريخية بين سوريا وقبرص وهكذا عادت الوفود الإسلامية إلى قبرص مرة أخرى ليرتفع بها نداء الله أكبر من جديد، كذلك فإنه عندما أغار الروم على مصر عام ١١٨ هـ / ٧٣٦ م قابل المسلمون هذه الغارة بهجوم على قبرص كرد فعل على ذلك وكان هذا الهجوم على قبرص عام ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م .

ولقد كانت قبرص ومصر هدفى الهجوم الإسلامى والرومى فى شرق البحر المتوسط أما فى القسم الغربى منه فقد كانت أساطيل المسلمين تقوم بالهجوم من وقت لآخر على صقلية وسردانية والروم لا يستطيعون رد هذا الهجوم بالمثل .

قبرص والخلافة العباسية :

إنتهت دولة بنى أمية بعد أن قامت على أنقاضها دولة بنى العباس عام ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م ولقد كانت هذه الدولة فى أول عهدها قوية لذا فإنها عملت على توطيد دعائم حكمها والمحافظة على وضعها فنقلت مركز الخلافة الإسلامية من دمشق إلى بغداد وخف الضغط الإسلامى فى أول الأمر على قبرص على الرغم من استمرار الوضع على ما كان عليه أيام الأمويين من غارات ومعاهدات من قبل المسلمين والروم ولكن هذا لم يمنع أنها كانت تدفع الجزية المقررة التى كانت تدفعها للمسلمين أيام الدولة

الأموية ولقد حدث فى عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد أن قام أهل الجزيرة بنقض العهد الذى كان بينهم وبين المسلمين فقام القائد المعلم حميد بن معتوق الهمذانى عام (١٧٤ هـ / ٧٩٠ م) على رأس حملة بحرية إسلامية كبيرة لغزو الجزيرة واستطاع حميد بن معتوق الهمذانى أن يفتح الجزيرة وأن يأسر منهم أعداداً كبيرة ثم نقلهم إلى بر الشام وذلك كرد على الروم الذين كانوا قد أسروا بعض السفن الإسلامية وهى فى طريقها إلى مصر . وكذلك تكررت الغارات فيما بعد ، ولكن قبرص بعد فترة قصيرة استقامت للمسلمين وانطوت تحت راية الإسلام فأمر الخليفة هارون الرشيد برد من أسر منهم وجمع شمل عائلاتهم، وفى ذلك يقول محمد بن سعد نقلا عن الواقدى ، لم يزل أهل قبرص على صلح معاوية بن أبى سفيان حتى ولى أمر المسلمين عبد الملك بن مروان فزاد الجزية المقررة عليهم ألفا دينار عما كانت عليه أيام معاوية ، واستمرت الجزية تدفع على ذلك المنوال حتى خلافة عمر بن عبد العزيز فرفعها عنهم ولما ولى الأمر فى الدولة الإسلامية هشام بن عبد الملك ردها عليهم مرة أخرى وجرى العرف على ذلك حتى زمن الخلافة العباسية وكان فى زمن خلافة جعفر المنصور فقال نحن أحق من أنصفهم ولم نكثر بظلمهم فردهم إلى صلح معاوية ، وأضاف محمد بن سعد فقال أحدث أهل قبرص حدثا فى ولاية عبد الملك بن صالح بن عبد الله فكتب هذا إلى بعض الفقهاء ومنهم مالك بن أنس ، والليث بن سعد فى أمر هؤلاء القوم فأجابوه بما فى عقيدة الإسلام السمحة الحقة العادلة القائمة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

سماحة الاسلام وتعصب المسيحية :

قال الليث بن سعد أن أهل قبرص قوم نزل نهمهم بغش أهل الإسلام ومناصرة أعداء الله الروم وقد قال تعالى فى سورة الأنفال الآية ٥٨ « وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، صدق الله العظيم ، ولم يقل سبحانه وتعالى لا ننبذ إليهم حتى تستبين خيانتهم وأنى أرى أن ننبذ إليهم .

وأما ما كتب به مالك بن أنس أن أمان أهل قبرص كان قديما متظاهرا من

الولاء لهم وذلك لأنهم رواأن أقرارهم على حالهم ذل وإحقار لهم وقوة المسلمين عليهم بما يأخذون من جزيتهم ويعيشون به من الفرحة من عدوهم ولم أجد أحد من الولاة نقض عهدهم وصلحهم ولا أخرجهم من بلدهم وإنى أرى أن لا نعمل بنقض عهدهم ومنابذتهم حتى تتمة الحجة عليهم فان الله تعالى يقول فى سورة التوبة الآية ٣ ، فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ، صدق الله العظيم ، فان لم يستقيموا بعد ذلك وبدأوا غشهم ورأيت أن العذر ثابت فأوقع بهم وكان ذلك بعد العذر واستطعت النصر عليهم والظفر بهم وكان بهم الذل والخزى إن شاء الله .

تلك هى آراء علماء الإسلام وقادة الرأى والدين والذين قالوا آراءهم بالعدل والحق وتلك هى شريعة الإسلام السمحة وذلك بعكس رجال الدين النصارى الحاقدين والكهنة المتعصبين والذين كانوا يدعون الشعب والحكام وقادة البلاد إلى طرد المسلمين من الأندلس وحرقهم والقضاء عليهم والتنكيل بهم وإنشاء محاكم التفتيش وذلك حقدا على عقيدة الحق والعدل والمساواة وليت المجال يتسع هنا لسرد آراء النصارى المعادية للإسلام والمسلمين فى شأن الأندلس وما جرى فيها من القضاء على ٣ ملايين مسلم بها وتدمير الحضارة الإسلامية .

ومن تلك الرواية التاريخية يتبين لنا كيف كان قادة المسلمين يأخذون برأى فقهاء الإسلام فى أمر الغزو وقد كان هؤلاء الفقهاء يتحرون الدقة والموضوعية فى الإدلاء بآرائهم فى تلك المسائل ويعتمدون على نصوص القرآن الكريم وآياته الحكيمة وأحاديث سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وتلك هى قبرص ودور الإسلام ، والمسلمون فى فتحها منذ أن كانت أول جزيرة فى البحر المتوسط يقوم المسلمون بغزوها وبسط لواء الإسلام فوق ربوعها .

وتوالت الأيام ورغم حرص المسلمين على المحافظة على العهد الذى أعطوه لأهل قبرص فان قبضة المسلمين على الجزيرة لم تثبت ومن ثم فقد تداولت السيادة عليها الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية حتى استولى عليها ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا عام ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م وهو فى طريقه إلى بلاد الشام ليأخذ منها

قاعدة لمد الصليبيين فى بلاد الشام بالمساعدات الحربية ، ثم تغير الحكام عليها من بيزنطيين وفرنسيين حتى آلت إلى حكم أسرة لوزيان الصليبية وبعد أن تم طرد الصليبيين من الشام فإن جزءاً كبيراً منهم توجه إلى جزيرة قبرص بعد أن تجمعت القوى الصليبية الباقية فى الشرق كافة فى تلك الجزيرة عام ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م واتخذتها مقراً لها كما أصبحت شواطئها ملجأ للقراصنة الذين يغيرون على السفن الإسلامية التى تعبر البحر الأبيض ، مما سبب المتاعب لدولة المماليك فى مصر والتى كان لها فضل كبير فى طرد الصليبيين من ديار الشام .

وقد استولى عليها السلطان برسباى سلطان الجراكسة المماليك فى مصر بعد ثلاث حملات (١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ م وأسر ملكها جانوس وظلت قبرص خاصة لمصر وتدفع لها الجزية حتى نهاية عصر المماليك ، لكن المماليك أضاعوها عام ١٤٢٦ م أيام الأشرف سيف الدين إينال واستطاع أهل البندقية أن يستولوا على الجزيرة عام ١٤٨٩ م وبقوا فيها إلى أن طردهم الأتراك العثمانيون منها عام ١٥١٨ م وبقيت الجزيرة تحت الحكم الإسلامى العثمانى (أنظر المسلمون فى قبرص لمحمود شاكر) .

قبرص فى العهد العثمانى :

بقى العثمانيون فى قبرص ثلاث قرون تقريبا عملوا من بدايتها على توطيد دعائم الاسلام فى الجزيرة فقد أسكن فيها السلطان سليم الثانى حامية عثمانية منذ أن فتحها وأقام فيها الدعاة ولم يمضى قرن من الزمان على الفتح العثمانى حتى صار المسلمون ثلاثة أضعاف النصارى فيها وهكذا أضحت قبرص بلاداً إسلامية وجزءاً من العالم الاسلامى بأرضها وأهلها وبقيت الجزيرة تحت السيادة الاسلامية العثمانية حتى عام ١٨٧٨ م حيث سمح السلطان عبد الحميد لبريطانيا باحتلال الجزيرة مقابل مساعدته على الروس بشرط أن تبقى الجزيرة تحت السيادة العثمانية وذلك لأن بريطانيا رأت أن قبرص تصلح لأن تكون قاعدة إنجليزية فى طريق الهند ولذا تعهدت بدفع مبلغ من المال سنوياً قدره ٩٢٫٨٠٠ جنيه لتركيا ، وادعت بريطانيا أن الاحتلال مؤقت ريثما تعيد روسيا للعثمانيين المناطق التى

إحتلتها واحتلت بريطانيا قبرص وأكثر سكانها من المسلمين فعملت قبل كل شيء على إضعاف المسلمين وتشجيع النصارى من بلاد اليونان على الهجرة إليها ما دامت تضم عدداً منهم وفي سبيل ذلك زادت نسبتهم وفي نفس الوقت ضيقت على الأتراك في سبيل تخليهم عنها والهجرة منها وقد تم هذان الأمران وقل المسلمون وانخفضت نسبتهم وزاد عدد النصارى وارتفعت نسبتهم واستمرت بريطانيا في العمل حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م كل هذا وجزيرة قبرص تتبع الدولة العثمانية إسماً .

وكانت بريطانيا قد عرضت ضم الجزيرة إلى اليونان مقابل دخولها الحرب مع الحلفاء ضد ألمانيا وبعد ذلك انهت بريطانيا إلحاق قبرص الاسمي بتركيا وضمها مباشرة إلى ممتلكات التاج البريطاني ومنذ ذلك الوقت أصبح عدد اليونانيون يمثل الأغلبية بين السكان وهذا يبين لنا أن الاستعمار بمختلف أشكاله الاقتصادية والسياسية والعسكرية لا يمكن الفصل بينه وبين الأثر الصليبي الذي يلعب أكبر دور في الاستعمار فبريطانيا قد عملت منذ دخولها الأرض القبرصية على أضعاف المسلمين وإذلالهم وتهجيرهم واستقدام غيرهم من النصارى .

وانتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة تركيا وحلفاؤها فاضطرت تركيا إلى التنازل عن الجزيرة بمقتضى معاهدة لوزان التي وقعت عام ١٩٢٣ ، وقد استقبل اليونانيون دخول بريطانيا الجزيرة بالترحاب وذلك بغية ضم الجزيرة إلى اليونان وقامت حركات فيها تطالب بالاتحاد مع اليونان .

والحديث عن قبرص المسلمة طوال عصور التاريخ بعد تلك الفترة يحتاج إلى دراسة طويلة إذ يدخل ذلك في نطاق التاريخ الحديث وذلك يحتاج إلى وقت أطول وصفحات أكثر وأكثر إنما ما نظرت إليه هو إلقاء الضوء في هذا البحث على تلك الجزيرة منذ القرن الأول الهجري لكي تكون أمام أخوة الإسلام في شتى بقاع الأرض لكي يمدوا يد العون لإخوانهم المسلمين الأتراك في قبرص والذين أقاموا دولة إسلامية في الجزء الشمالي من الجزيرة ، وذلك من أجل الصمود أمام

الضغط الصليبي الذى يسعى جاهداً على القضاء على تلك الفئة المسلمة من فوق أرض قبرص كما فعل ذلك من قبل فى جزيرة رودس وكريت وصقلية ومالطة وسردانية وكورسيكا وجزر البليار وكلها كانت جزر إسلامية إرتفع فوقها نداء الله أكبر ورفرفت فوقها راية التوحيـــد ، راية لا إله إلا الله محمـــد رسول الله .

ولقد تأسست يوم ١٢ فبراير عام ١٩٧٥ م جمهورية قبرص التركية فى القسم الذى يضم أغلبية مسلمة فأصبح لمسلمى الجزيرة كيان وأخذ القبارصة المسلمون الذين نزحوا من ديارهم إلى تركيا وبريطانيا واستراليا يرجعون إلى جزيرتهم ويحاول دنكتاش رئيس الجمهورية الإسلامية تجميع المسلمين فى المناطق المحررة التى أصبحت تأخذ طابعا إسلاميا وبهذا انفتح لمسلمى قبرص عهد جديد ولم يعد هناك خطر على وجودهم بعد أن تدخلت تركيا عسكريا فى ٢ يوليو ١٩٧٤ م واستطاعت أن تسيطر على ٤٠ ٪ من أرض الجزيرة وهى التى تقوم فيها قبرص الإسلامية .

غزوة ذات الصوارى ، أول إنتصار بحرى إسلامى

لقد عمل العرب والمسلمون منذ العهد الأول للدولة الإسلامية على رفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، خفاقة عالية على شتى بقاع الأرض المعمورة والغزو فى سبيل الله نشر رسالتهم الإسلامية الخالدة والجهاد فى سبيل الله وكانت الأمواج الزاحفة من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام قد استطاعت أن تحرر تلك البلاد من قبضة الإمبراطورية البيزنطية وتضمها إلى ديار الإسلام لكى تزداد بها الأمة الإسلامية قوة ولكى يخرج جند الشام المسلم للغزو فى سبيل الله مثلما خرج من قبل أخاه المسلم ابن الجزيرة العربية ، وذلك لأنه من أجل نشر عقيدة الإسلام السمحة والدفاع عنها وأيضاً الدفاع عن الأراضى الإسلامية العربية والتى بذلوا جهودهم وأرواحهم فى سبيل ضمها للدولة الإســـلامية التى تبعث بأبنائها من المدينة المنورة .

لكن إزاء هذه الأوضاع الجديدة والانتصارات الحربية التي أحرزها المسلمون في فترة زمنية قصيرة على الامبراطورية البيزنطية وما تلى ذلك في متغيرات في حوض البحر المتوسط الشرقي ، فان الدولة البيزنطية بدأت تغير خططها وتضع سياسة جديدة في دفاعها وذلك لمواجهة المد الإسلامي الزاحف من الشرق ولاسترداد الأراضي التي سيطر عليها المسلمون في مصر والشام .

التحرك البيزنطي :

وإزاء ذلك قام الامبراطور البيزنطي في عام ٢٥ هـ / ٦٤٥ م بتجهيز حملة بحرية مكونة من ٣٠٠ ثلاثمائة سفينة حربية وشحنها بالجند والسلاح والعتاد القوي وجهزها في سرية تامة حتى لا يعلم المسلمون بها ولا بوجهتها وذلك لكي يقوم باسترداد مصر من أيدي العرب ، وفوجيء سكان الاسكندرية بقدوم هذه الحملة بغتة وبدون أدنى استعداد واستطاع الروم الاستيلاء على الاسكندرية بسهولة بل إستطاعوا التقدم في أرض الدلتا والاقتراب من حصن بابليون، وكان والي مصر في ذلك الوقت عبد الله بن سرج ، وإزاء هذا الموقف وهجوم الروم فإن الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رأى أن يرسل إلى مصر على عجل واليها السابق عمرو بن العاص وهو الذي يعرف القتال فيها بعد أن خبر الحرب ضد الروم في تلك الأراضي المصرية ، ولقد استطاع عمرو بن العاص أن يخلص كل الأراضي التي استولى عليها الروم وأن يسترد الاسكندرية ويأسر أعداد كبيرة من الروم ويقتل قائدهم .

وفي نفس الوقت كانت الامبراطورية البيزنطية قد أعدت حملة وخرجت تلك الحملة وكانت وجهتها بلاد الشام ولكن معاوية بن أبي سفيان استطاع بقواته الإسلامية أن يدافع دفاع الأبطال ويمنع الأسطول البيزنطي من إنزال قواته في موانئ تلك البلاد بل أنه إستطاع أن ينزل الهزيمة النكراء بهم وأن يأسر أعداد كبيرة من قواتهم والتي لم تتمكن من العودة إلى سفن الأسطول وبذلك نجت مصر والشام من محاولة الروم العسكرية في إعادة هذه البلاد إلى حظيرة الدولة البيزنطية لاستبعاد شعوبها وإذلالها بعد أن كان الإسلام قد حرر هذه الشعوب والتقى

بها مع مسلمى أهل الجزيرة العربية لأفضل عربى على اعجمى إلا بالتقوى، وساد القوم شعور إسلامى مشترك .

التفكير فى تكوين اسطول إسلامى :

ولقد كان لتلك الغزوات البيزنطية لمصر وبلاد الشام الأثر القوى فى التفكير فى الدفاع عن هذه البلاد وضرورة تكوين أسطول بحرى إسلامى وذلك للدفاع عن الأراضى الجديدة التى حررها العرب من الروم ، حقيقة أنهم ملكوا البر لكن البحر الأبيض المتوسط كان لا يزال فى قبضة البيزنطيين وربما لم يشعر العرب شعوراً كاملا بالخطر إلا بعد هذه الحملات ذلك لأنه منذ فجر الإسلام كانوا قد بعدوا عن ركوب مياه البحر العميقة ولكن السياسة الحكيمة أشادت بارتيادها والمغامرة فيها فالوضع الجديد قد جعل مصر وسوريا بلاداً لا يمكن عزلها عن البحر المتوسط وأن نظرة سريعة إلى الخريطة الجغرافية ترينا كيف أن هذه البلاد أكثر اتجاهاً إلى البحر منها إلى البر وأن العرب إذ ما انصرفوا عن البحر لهددهم الروم وداوموا الغارات على هذه الشواطىء لأنه لايوجد أسطول إسلامى يستطيع أن يرد كيد هذه الاغارة عليهم كذلك فإنهم إذا أهملوا العلاقات الاقتصادية التى تقوم بين هذه البلاد وبلاد البحر المتوسط لنضبت موارد مصر والشام، ولذا سرعان ما اندمج فاتحوا مصر وسوريا فى حياة البحر .

وكان مما دعا عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث إلى التفكير جديا فى إنشاء أسطول إسلامى عربى تعرض مصر والشام لمحاولة بيزنطية لإعادة البلاد إلى الحكم البيزنطى مرة أخرى ، ومنذ ذلك الوقت رأى المسلمون ضرورة الاهتمام بالاسطول البحرى وضرورة بناء قوة إسلامية بحرية لحماية الشواطىء الإسلامية وصد غارات الروم المتوقعة ومن ثم بدأ فى تكوين الأسطول وتدريب الرجال على فن القتال البحرى وتجميع السفن فى موانى إســـلامية معينة وحشدها لمواجهة أية غارة بيزنطية .

عودة الصراع :

ولكن الامبراطور البيزنطى الذى هاله الفشل فى إسترداد مصر والشام لم يقف مكتوف الأيدى أمام هذا الفشل ، بل إنه جهز حملة بحرية مكونة من ٦٠٠ سفينة وذلك فى عام ٢٤ هـ بقيادة الامبراطور كنسانس الثانى لغزو الاسكندرية واستردادها مرة أخرى من المسلمين وكان والى مصر حينئذ عبد الله بن أبى سرج وكان الأسطول المصرى قد بدأ يشتد عوده وكثرت سفنه وزادت عدته وتم تجهيزه بأشجع الجند الإسلامى . خرج بقيادة والى مصر عبد الله بن أبى سرج للقاء الأسطول البيزنطى المتجه إلى مصر وكان ذلك عام ٣٤ هـ/٦٥٦ م ، وكان معاوية بن أبى سفيان قد علم بوجهة هذا الأسطول عن طريق الاستخبارات الإسلامية التى كانت ترصد تحركات الأسطول البيزنطى منذ أن هاجم مصر وسوريا لأول مرة فأرسل إليه أسطولا بقيادة يسر بن أرطاة ليتعاون مع الأسطول المصرى فى صد الروم ، بل أن أرشيبالد لويس . يقدر الأسطول البيزنطى بما بين ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ألف سفينة حربية ، وتقول بعض المصادر التاريخية أن معاوية بن أبى سفيان خرج بنفسه على رأس أسطول الشام واتحد الأسطولين الشامى والمصرى تحت قيادة واحدة وابحر الأسطول الإسلامى شرقاً لكى يحول دون وصول الأسطول البيزنطى إلى الهدف الذى يسعى إليه وهو الإبحار غربا ومهاجمة الاسكندرية . وكان أسطول المسلمين مكون من ٢٠٠ سفينة حربية صغيرة تحرك لينـــازل أسطول بيزنطية المكون من ١٠٠٠ ألف سفينة حربية واستطاع الأسطول الإسلامى أن يعثر على الأسطول البيزنطى قرب شواطىء ليكيا بآسيا الصغرى .

يرموكا اخرى :

وأبحر المسلمون فى جرأة منقطعة النظير مقتربين من سفن العدو ، بعد أن كانوا قد باتوا ليلتهم الأولى يقرأون القرآن الكريم بينما أخذ الروم يقرعوا النواقيس ، وقرب المسلمين سفنهم فربطوا بعضها بعض بل أكثر من ذلك فإن المسلمين أقدموا

عل خطوة كانت فى غاية الجرأة والشجاعة وقد تكون الأولى فى فن القتال البحرى إذ قاموا بالليل بربط السفن الإسلامية بالسفن البيزنطية بسلاسل حديدية قوية ، وعند الفجر حارب الجند المسلم أول معركة بحرية فى تاريخ الدولة الإسلامية الفتية التى تحارب من أجل الحق والعدل والمساواة ومن أجل تحرير البشرية من سيطرة العبودية والذل ، وارتفع نداء الله أكبر ، نداء لا إله إلا الله محمد رسول الله ، النصر للاسلام ، حتى غطى صوت السيوف على كل نداء ، والتحم الجند فى معركة حامية الوطيس يريد النصر لله أو الاستشهاد فى سبيل الله .

واقتتلوا بالسيوف والخناجر ، ودارت المعركة وكانت معركة دامية وثبت الجندى المسلم ثباتا عظيما وقتل من المسلمين خلقا كثيرا ومن الروم خلقاً أكثر لا يحصى عددة ، وصبر المسلمون يومئذ صبرا عظيما وأبلوا بلاءاً حسنا وكيف لا وهم الذين دحروا الروم فى البر ، فكيف لا يتم دحرهم فى البحر وكانت بحريتهم الإسلامية قد تشجعت على القتال فى عرض البحر بعد أن تم الانتصار لهم فى غزو قبرص عام ٢٨ هـ / ٦٤٨م ، وأنزل الله جنداً يقاتل فى صف المسلمين وحقت كلمة الله على الكافرين وكتب النصر لعباده المجاهدين .

ووصف أحد مؤرخى الروم المعاصرين لتلك المعركة (بثوفانس ، بأنها كانت يرموكا ثانية على الروم ، ووصفها ابن جرير الطبرى المؤرخ العربى فقال أن الدم كان غالبا على الماء فى هذه المعركة العنيفة وأن الأمواج طرحت جثث القتلى ركاما ولقد كانت بثينه الجميلة الجريئة زوجة القائد عبد الله بن أبى سرج ، على ظهر احدى السفن ، ولقد روت كيف أن قائد المسلمين كاد أن يقع فى الأسر لولا أحد الجنود ألقى بنفسه على السلاسل التى كانت تربط سفينة القائد بسفينة بيزنطية واستطاع أن يقطع هذه السلاسل بسيفه وبذلك كتبت النجاة للقائد واستطاع أن يعود مع قواته سالما بعد أن حقق النصر .

أما قائد الروم فقد هرب من المعركة بعد أن خسرها وهرب بنفسه إلى صقلية حيث عنفه أهلها لجبنه وهربه من ميدان المعركة وكان مما قالوه له لقد أهلكت

النصرانية وأفنيت رجالها وتسببت فى هلاك الروم لو أتانا العرب الآن لم يكن عندنا من يمنعهم ثم أدخلوه الحمام وقتلوه .

ويقول أحد مؤرخى المسلمين أنه أطلق على هذه المعركة البحرية العنيفة إسم ذات الصوارى وذلك لكثرة صوارى السفن الحربية التى اشتركت فى القتال فى تلك المعركة التى انتهت بهزيمة ساحقة للروم وأسطولهم ولم ينجوا من تلك المعركة إلا الشريد وتم تحطيم الأسطول الرومى نهائياً ومن بقى منه وقع فى الأسر لدى المسلمين حتى أن الامبراطور قسطنطين بن هرقل كاد أن يقع أسيرا فى أيدى المسلمين ، وبذلك انتهت معركة ذات الصوارى التى تعتبر أول نصر عربى إسلامى فى معركة حربية تتم فيها المواجهة المباشرة بين السفن الاسلامية والبيزنطية ويبدوا أن انتصار العرب والمسلمين جاء نتيجة لخطط حربية غير عادية إذ أن ربط السفن الاسلامية بعضها إلى بعض بسلاسل حديدية ثقيلة ، وربط سفن الروم بسفن المسلمين بالليل ، قد جعل من المحال على أعداء الاسلام اختراق السفن الاسلامية المتراصة، كما أن استخدام المسلمون فى تلك المعركة لخطاطيف طويلة يصدون بها صوارى وأشرعة سفن الأعداء ،هو الأمر الذى أدى إلى حدوث كارثة بالنسبة للأسطول الرومى وانتصار الأسطول الاسلامى على الأسطول البيزنطى انتصاراً ساحقاً .

ومما يلفت النظر أن المكان الذى دارت فيه هذه المعركة وهو ساحل الأناضول يزدحم بغابات السرو الكثيفة وهو الشجر المستخدم فى صوارى السفن ولعل البيزنطين قرروا القيام بتلك المعركة ليحولوا بين الخشب اللازم لصناعة السفن الاسلامية وبين وقوعه فى أيدى العرب وإذا صح هذا الزعم فإنه يقوم دليلا على أهمية الخشب فى الصراع البحرى بين بيزنطية والمسلمين .

ويعد هذا الانتصار البحرى العظيم الذى حققه المسلمون آخر العمليات البحرية التى استمرت أكثر من عشر سنوات بين الطرفين إذ توقف المسلمون بعد هذا النجاح ولم يحاول البيزنطيون أيضاً معاودة نشاطهم البحرى ، ويرجع ذلك إلى وجود مشاكل داخلية عند كل الطرفين ، جعلت من مصلحة المتنازعين أن يوقفا فعلا الحرب البحرية دون معاهدة ، ففى الجانب الإسلامى شغل معاوية بن

أبي سفيان بنزاعه مع الخليفة الراشد الرابع على بن أبي طالب حول موضوع الخلافة واستغرق الأمر أكثر من عشرة سنوات إلى أن إستقرت الخلافة الاسلامية فى دمشق وأصبح معاوية فى حالة تسمح له بتجديد نشاطه البحرى ضد أعدائه البيزنطيين .

المهم أن هذه المعركة هى موقعة هامة إذ أطمأن المسلمون بها على إمكان تفوقهم العسكرى بعد أن انتصروا على صاحبة أقوى بحرية معاصرة وقد شجعهم ذلك على أن يولوا البحرية الاسلامية أكبر عناية ذلك لأن معاوية بن أبي سفيان سواء أكان فى ولايته أو خلافته هو صاحب الفضل الأول فى إرتياد المسلمين البحر وتنظيم البحرية الاسلامية ويقال أن ما أنفقه فى بناء السفن فى مصر فقط قد بلغ نحو سبعة آلاف دينـــار سنوياً وذلك خلال الأربعين سنة التى تلت الفتح العـــربى الاسلامى لمصر .

كذلك فقد وضعت هـــذه المعركة حداً فاصلا لسياسة الروم العدوانية والاستفزازية إزاء العرب والمسلمين بل أنهم أدركوا تمام الإدراك بعد هـذه المعارك البرية والبحرية ، أن أية محاولة من جانبهم سواء أكانت بحرية أو برية لاسترداد الشام أو مصر أو أية أجزاء أخرى من أجزاء الدولة الاسلامية محكوم عليها بالفشل ولن تكون لها أى أثر حاسم، بل أن الأجدر بالروم وإمبراطورهم أن يتنبهوا ويحاولوا وقف الهجوم الاسلامى الذى بدأ يتطلع لغزو القسطنطينية بعد هذا الانتصار الاسلامى البحرى الساحق فى تلك المعركة .

بل الأكثر من ذلك فإن هناك بعض الآراء التى تحدثت عن هـذه المعركة الميمونة وحللت نتائجها وآثارها تحليلا، علمياً دقيقاً فقالت أن المسلمين لم يستطيعوا أن يستفيدوا ويستغلوا هذا الانتصار استغلالا يعود عليهم بنصر سريع آخر ويحقق لهم فتح القسطنطينية ، إذ أن المسلمون لو تقدموا بعد تلك المعركة مباشرة لغزو القسطنطينية لتغير وجه التاريخ الاسلامى فى تلك المنطقة تغيراً جذرياً ولسقطت القسطنطينية فى أيدى المسلمين بمنتهى السهولة ولتمكنت القوات الاسلامية من وضع أقدامها على مفتاح أوروبا الشرقى ثم الانسياح فى الأقاليم الأوربية بعد ذلك ،

إذ أن الإمبراطور البيزنطى وقواده الباقين بعد المعركة وكبار دولته بعد قتل الإمبراطور فى صقليـــة ، كانوا فى حالة من التمزق ، وسادت دولتهم حالة من الفوضى الداخلية استمرت أكثر من عشر سنوات ، بل أن الظروف كانت مهيأة تمام التهيئة لغزو عاصمة الروم .

ولـكن يبدو أن المسلمون اكتفوا بهـــذا النصر الذى حققوه على بيزنطية واستطاعوا كسر شوكتها البحرية بل وضع حد لغطرستها .

ولقد كانت تلك المعركة للبحرية التى حقق فيها المسلمون وجودهم البحرى لأول مرة فى تاريخ الإسلام مقدمة هامة وبداية على طريق التفوق البحرى الإسلامى ومبدأ لبناء أسطول إسلامى قوى وكذلك إيجاد النظرة الثاقبة للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط وإطواء كل جزره الواقعة فيه من الشرق إلى الغرب تحت السيادة الاسلامية حتى يصبح هذا البحر بحراً عربياً إسلامياً صرفاً وقد تم لهم ذلك فيما بعد إذ تحققت لهم السيادة على كل الجزر وصار البحر بحراً إسلامياً طوال أربعة قرون متواصلة .

الإسلام والمسلمون فى بلغاريا

لقد تطلع المسلمون الأوائل منذ صدر الإسلام إلى فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية وضمها إلى دولة الاسلام الـكبرى ولم يكن فتح المدينة بالنسبة للمسلمين إلا بداية لمرحلة يتم بعدها التوغل إلى أوربا من الشرق وتكون القسطنطينية رأس جسر للانسياح من خلالها إلى سهول أوربا الشرقية ، لذا فقد بدأ المسلمون منذ عهـد معاوية بن أبى سفيان يتجهون إلى غزو القسطنطينية ومحاولة فتحها ، ولـكن وفاة معاوية والأحداث الداخلية فى الدولة الاسلامية حالت دون إتمام الفتح ، وقام المسلمون أيضاً فى عهد سليمان بن عبد الملك بغزوة ثانية لفتحها وإطوائها تحت الراية الاسلامية لـكن هناك ظروفاً حالت دون إتمام الفتح ووقف المسلمون أمام هذه المدينة دون إخضاعها ولـكن مع ذلك فقد ظل فتح القسطنطينية أملا يداعب أفئدة المسلمين ويسيطر على أفـكارهم، وفى عهد الدولة

العباسية فإن المسلمين عاودوا الكر عليها مرتين الأولى فى عهد الخليفة المهدى والثانية فى عهد الخليفة هارون الرشيد .

وعلى الرغم من أن هذه الغزوات الإسلامية المتكررة لتلك المدينة لم تمكن المسلمين من القدرة على احتوائها وضمها لدولة الإسلام الكبرى ، إلا أن القسطنطينية لم تقف حائلا دون المد الإسلامى إلى مايعرف اليوم بأوربا الشرقية كبلغاريا والمجر وسلوفاكيا ، وألمانيا الشرقية ، ومع هذا فإننا نجد أن الرسالة الاسلامية السمحة استطاعت أن تتخطى تلك المدينة غرباً وأن تتجاوزها لكى تمتد إلى سهول أوربا الشرقية ولذا فقد أصبحت تلك المدينة رأس بلا جسد ، بعد أن بلغ المد الإسلامى كل الأرجاء المحيطة بها واستطاع أن يصل إلى بلاد الصقالبة أومايعرف باسم بلغاريا ، حيث انتشر الإسلام وعقيدته السمحة فى تلك الديار .

وموضوع الدراسة الذى نقدمه هنا للقارىء العربى والمسلم فى كل مكان هو بلغاريا والتى هى دولة شيوعية بلقانية مساحتها ١١٠٫٩١٢ كيلو متر مربع وعاصمتها صوفيا ، ويحد بلغاريا من الشمال رومانيا ومن الجنوب تركيا واليونان ومن الشرق البحر الأسود ومن الغرب يوغسلافيا ، ويتكون وسط البلاد من جبال البلقان بينما تنتشر سهول الدانوب فى الشمال وجبال الرودوبلا فى الجنوب .

وعن حدودها السياسية فى الفترة التى دخل فيها الإسلام والمسلمين فى القرن الثالث الهجرى ، التاسع الميلادى فإن بلاد الصقالبة « بلغاريا » كانت تشمل مساحات واسعة وكبرى من شرق أوربا والحدود الحالية ظهرت للعالم بعد الحرب العالمية الثانية وانضمامها إلى دول المحور الشيوعى .

انتشار الاسلام :

أما عن انتشار الإسلام بها واعتناق أهلها للديانة الإسلامية واتصالها بالعالم الإسلامى وخاصة الخلافة العباسية فى بغداد فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) فهو ما سنحاول إلقاء الضوء عليه مع إعطاء نبذة بعد ذلك عن الإسلام فى عهد الأتراك العثمانيين والوضع الحالى للمسلمين .

تذكر الروايات التاريخية أن الاسلام دخل بلغاريا عن طريق الهجرات الاسلامية الفردية وعن طريق الجهود التى كان يقوم بها الدعاة المسلمون من أجل نشر الدين الإسلامى الحنيف فى شتى بقاع الأرض مثلما انتشر فى أجزاء كثيرة أخرى من العالم مثل جنوب شرق آسيا أندونيسيا، الفلبين، ماليزيا وكذلك الانتشار السريع والقوى فى أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وشرق أوربا وكل جزء من أجزاء العالم التى وصل إليها الدين الإسلامى عن طريق الدعاة والتجار وأن أهلها اعتنقوا الاسلام دون فتح أو غزو .

كذلك فإن المصادر العربية الإسلامية لم تذكر شيئاً مطلقاً عن قيام المسلمين بغزو هذه الأراضى ولا عن تقدم قوات إسلامية لفتحها ، إلا أن الارادة الالهية شاءت أن ترتفع فوق ربوعها راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فى وقت بلغت فيه الدولة الاسلامية أقصى اتساعها وأزهى عصورها .

ولم يعرف على وجه التحديد تاريخ دخول الاسلام إلى تلك الديار واعتناق بعض أفرادها لذلك الدين ، وإن كانت الأحداث القادمة تؤكد بأن الاسلام قد وصل إلى بلغاريا عام ٥٠ هـ ويستدل بعض المؤرخين على ذلك أن الحملة الاسلامية الأولى التى خرجت لغزو القسطنطينية بقيادة يزيد بن معاوية والتى استمرت فترة سبع سنوات فى حصارها وهذا ما استدعى قائدها أن يأمر المقاتلين المسلين بإقامة المساكن وحفر الخنادق اتقاءا لبرد الشتاء والقيام بالزراعة والإنتاج فى الأراضى الواسعة المحيطة بمدينة القسطنطينية لقطع المعونة عن المدينة من المناطق القريبة ، وبذلك فقد انساح بعض المسلمين فى السهول الواسعة الممتدة غرباً حتى وصلوا إلى بلاد الصقالبة ،وقد انقطع الاتصال بينهم وبين باقى القوات الاسلامية المحاصرة لمدينة القسطنطينية ولكن تلك الرواية ضعيفة المصدر ولكن هناك احتمال لتصديقها .

ويذكر لنا أرشيالدلويس فى كتاب القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، أن القسطنطينية عندما تعرضت للغزوة الاسلامية الثانية فى عهد سليمان ابن عبد الملك حاصرها حصاراً شديداً حتى كادت أن تسقط فإن المدينة استغاثت

بالصقالبة سكان المناطق الغربية والقريبين منها وقد قام هؤلاء بمهاجمة مؤخرة الجيش الاسلامى واشتبكوا معه فى قتال وربما يكون قد وقع بعض الأسرى فى أيدى البلغار من المسلمين وهذا هو شأن كل المعارك وأن هؤلاء الأسرى كانوا بالاضافة إلى إخوانهم مقاتلى الحملة الأولى هم النواة الأولى للمسلمين فى بلاد البلغار وإنهم ربما يكونون قد قاموا بالدعوة لدين الله بين هؤلاء الأقوام الذين لم تكن المسيحية قد بدأت تنتشر بينهم على نطاق واسع .

الدخول فى الاسلام :

ويذكر لنا ياقوت الحموى فى كتاب معجم البلدان أن الاسلام قد انتشر على نطاق واسع فى بلغاريا واعتنقه غالبية الشعب البلغارى فى منتصف القرن الثالث الهجرى وهذا يتفق مع الكتاب الحديث الاصدار وهو المسلمون فى أوربا وأمريكا لمؤلفه على المنتصر الكتانى الذى يقول إن سكان بلغاريا قد اعتنقوا المسيحية عام ٨٦٥ م أى فى القرن الثالث الهجرى وان ما ذكره ياقوت الحموى فى كتابه والذى يسوق فيه حجة قوية لاشك فى صحتها وهو المؤكد وهى أن ملك بلاد البلغار قد اعتنق الدين الاسلامى هو ورعيته وأسرته المالكة وأن الاسلام قد أصبح الدين الرسمى للبلاد بعد اعتناق الملك لدين الله الخالد ودخول أكثرية السكان فيه وعمل الملك على نشره بين البقية الباقية من الشعب البلغارى وذلك فى القرن الثالث الهجرى .

العلاقات بين الخلافات العباسية وبلغاريا :

ويذكر ياقوت الحموى بأن ملك البلغار « ألمس بن شكلى بلطوراً » قد أرسل للخليفة العباس المقتدر بالله فى بغداد رسالة مع رسول يعرفه فيها باعتناقه الاسلام هو ورعيته ويسأل الخليفة إرسال بعض العلماء والفقهاء المسلمين لكى يعلموه ورعيته الصلاة وتعاليم الدين الاسلامى الصحيحة الخالية من البدع ، ويعلمه أيضاً أنه يريد أن يحكم ويقيم الشريعة الاسلامية فى مملكته وأنه يريد أن يقيم علاقات طيبة مع البلاد الاسلامية وهذه الرسالة المتبادلة بين الخليفة العباس وملك البلغار بلطوراً كانت عام ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م .

ويذكر ياقوت بأنه لايعرف السبب فى إسلام الملك وأسرته الحاكمة وبعض أفراد رعيته ولكن الذى لاشك فيه أن هذا الدخول فى دين الله أفواجا قد تم عن طريق بعض المسلمين فى بلاط الملك البلغارى وأنهم هم الذين كانوا السبب فى إسلامه هو وبعض رعيته بعد أن شرح الله صدورهم للاسلام ولايستبعد انتشار بعض الدعاة من المسلمين فى بلاد البلغار ، وقد يكون من بينهم بعض الذين كانوا يقومون بأعمال التجارة والصناعة والحرف الأخرى ويؤيد ذلك ما جاء فى رسالة الوفد الإسلامى فى بلغاريا بأنه كان يوجد فى بلاط الملك « تروى » خياط مسلم كان يعمل خياطاً للملك وأسرته .

وربما قد يكون هناك بعض المستشارين العسكريين للملك من الذين تم أسرهم فى غزوه القسطنطينية الثانية أو من أبنائهم ويذكر المستشرق « بارتولد » فى كتابه تاريخ الحضارة الإسلامية بأنه كان يوجد فى أوائل القرن الثالث الهجرى مدرب عربى مسلم يقوم بتدريب جيش البلغار على فن القتال . وقد يكون هؤلاء قد خرجوا من بلاد الإسلام يدفعهم الحماس لدينهم الإسلامى إلى الرحيل إلى بلاد بعيدة لم يعرف أهلها الإسلام بعد ولم يسمعوا عنه ومن هنا فإنهم يدعون لدينهم الحنيف بين تلك الشعوب الأوربية ومن ثم كان وصولهم إلى بلغاريا .

وقد يكون الدافع لإرسال ملك البلغار لرسالته إلى الخليفة العباس المقتدر هو وجود تلك الأعداد من المسلمين المقربين فى بلاطه وربما هم الذين أشاروا عليه بإرسال تلك الرسالة ، ويؤكد ذلك ماجاء على لسان حامل رسالة الخليفة بأنه قضى بضعة أيام فى ضيافة مسلم من أهل بغداد .

مشاهدات الوفد الاسلامى :

تذكر الروايات التاريخية أن أحمد بن فضلان العباسى بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر الخليفة العباسى إلى ملك البلغار ، وقد كتب رسالة ذكر فيها ماشاهده منذ ترك بغداد عاصمة الخلافة العباسية فى طريقه إلى عاصمة البلغار حتى عودته مرة أخرى إلى دار الخلافة ، ومما جاء فى رسالته أن الرحلة قد بدأت

فى الحادى عشر من شهر صفر عام ٣٠٩ هـ وأنهم وصلوا إلى عاصمة ملك البلغار فى الثانى عشر من شهر محرم عام ٣١٠ هـ ومن هذه الفترة التى تقترب من العام يتبين لنا طول المسافة بين بغداد وعاصمة البلغار التى ذكرها الوفد بالمراحل والفراسخ وحددها بين بغداد والقسطنطينية وبين القسطنطينية وعاصمة البلغار .

ويضيف رسول المقتدر بالله بأن الرسالة التى أرسلها ملك البلغار يذكر فيها بأنه يريد من الخليفة أن يرسل له على وجه السرعة من يفقهه فى الاسلام ويعرفه شرائعه السمحه ويبنى له مسجداً فخماً فى العاصمة وينصب له منبراً لكى يقيم عليه الدعوة للاسلام فى جميع بلدان مملكته وأنه سوف يقوم بإرسال علماء الدين الاسلامى الذين يفدون من بغداد إلى شتى أنحاء مملكته لكى ينشروا الاسلام ويدعوا له بين كل أفراد الشعب وكذلك فإنه يرغب فى من يقوم له ببناء حصن يتحصن فيه وأسرته من الملوك المخالفين للعقيدة الاسلامية والذين ربما يهاجمونه نظراً لدعوته إلى الاسلام بين أفراد رعيته وعمله على أن تصبح بلاد الصقالبة كلها تدين بالدين الاسلامى .

وقد أجيب ملك البلغار إلى طلبه وكان السفير إليه « نذير الحرمى » أحد رجال البلاط العباسى فى بغداد الذى اشتهر بقوة إيمانه وتحمسه لنشر الدين الاسلامى وقوة حجته بالاضافة إلى أنه صحب معه كل ماطلبه ملك البلغار من الخلافة العباسية فى رسالته بالاضافة إلى بعض رجال الجيش الذين كانوا لهم الفضل فى تدريب الجيش البلغارى ، وقد درب هؤلاء الجيش البلغارى على ركوب الخيل وتسلق القلاع ومهاجمة الحصون وقد ساعد وجود هؤلاء المدربين على انتصار البلغار فى حروبهم ضد الدولة البيزنطية .

الوفد الاسلامى فى بلغاريا :

لقد أعطى لنا سفير الخليفة وصفاً رائعاً لبلاد البلغار وتحدث عن أحوال الشعب وطرق معيشتهم وملابسهم وطريقة بناء مساكنهم (أنظر ياقوت الحموى ، بلغاريا ، معجم البلدان) وعاداتهم وتقاليدهم ، ويصف لنا الاستقبال الرائع

الذى قوبل به الوفد العباسى الاسلامى عند وصوله إلى القصر الملكى فيقول « لقد استقبلنا الملوك الأربعة الذين تحت يديه وأخوته وأولاده ، . . . استقبلونا ومعهم الخبز واللحم وعند مدخل القصر الملكى تلقانا الملك « بلطوار » بنفسه ، ولما رآنا خر ساجداً لله شاكراً له على وصول وفد الخليفة إلى بلاده واستجابة الخليفة المقتدر بالله لرسالته وتحقيق مطالبه ، وكان فى كمه دراهم ذهبية نثرها علينا ونصب لنا قباباً نزلنا بها وقام بجمع ملوك أرضه « أمراء الأقاليم » وخواصه شعبه وذلك لكى يستمعوا إلى قراءة الكتاب المرسل من الخليفة العباسى ولم يذكر لنا رئيس الوفد هل كان يوجد مترجم فى بلاط الملك يعرف اللغة العربية واللغة الصقلبية لغة البلغار .

ويضيف السفير ثم ألبسنا الملك لباس السواد وهو شعار الدولة العباسية وعممناه وقرأنا عليه كتاب الخليفة وكتاب الوزير هارون بن العباس ، ونثر أصحابه الدراهم علينا وربما تكون تلك عاداتهم فى استقبال الوفود الرسمية الكبيرة ثم أخرجنا له الهدايا المرسلة من الخليفة ووزيره وعرضناها عليه ثم خلعنا على امرأته أيضاً وكانت جالسة بجواره . ويقول رئيس الوفد « نذير الحرمى » إنه كان يخطب لملك البلغار فى المساجد قبل وصولنا بالآتى « اللهم أصلح الملك بلطوار ملك البلغار فقلت له » إن الله هو الملك ولا يجوز أن يخطب له بهذا الاسم لأحد سيما على المنابر فى المساجد وهذا مولاك أمير المؤمنين قد وصى لنفسه أن يقال له على منابرة فى الشرق والغرب اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفر الامام المقتدر أمير المؤمنين ، ثم قال كيف يجوز أن يقال ، فقلت له يذكر اسمك واسم أبيك . ثم قال إن أبى كان كافراً وأنا أيضاً ما أحب أن يذكر اسمى الذى سمانى به كافراً ، ولكن ما اسم مولاك أمير المؤمنين الخليفة فقلت جعفر ، فقال أيجوز أن أتسمى باسمه فقلت نعم فقال فقد جعلت اسمى جعفرا واسم أبى عبد الله وتقدم إلى الخطيب الذى يخطب فى مسجد العاصمة بذلك وطلب منه أن يخطب له « اللهم أصلح عبدك جعفر بن عبد الله ملك البلغار مولى أمير المؤمنين .

بل أكثر من ذلك فإنه أصدر منشوراً وزعه وأعلنه على الشعب وحكام الأقاليم بأن اسمه أصبح من الآن فصاعداً جعفر بن عبد الله بدلا من المسى بن شكلى

« بلطوار » وصارت كل المكاتبات والمراسلات تصدر باسم جعفر بن عبد الله ملك البلغار ، ومن تلك الرواية التاريخية التى رواها لنا رسول الخليفة العباسى يتبين لنا أن الاسلام الدين السمح والرسالة الخالدة خاتمة الرسالات السماوية قد اعتنقها ملوك الأرض فى يسر وسهولة وأقبلوا على دخول الدين الحنيف أفواجاً، تدفعهم الرغبة والحماس للاسلام فى الانطواء تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، بل الأكثر من ذلك فإن ملوك البلاد قد عملوا على الدعوة للدين الجديد ومن ذلك نرى أن ملك البلغار يعمل بنفسه وأسرته الحاكمة لتمكين الدعاة والفقهاء والعلماء الذين وصلوا من البلاد الاسلامية وخاصة بغداد للدعوة بين شعبه ورعيته بل الدعوة بين الشعوب المجاورة وهذا يدل على مدى الحماس والايمان برسالة الحق والعدل رسالة السماء خاتمة الرسالات .

إنتشار الاسلام من بلغاريا إلى المجر :

ويدل على ذلك ماذكره أيضاً ياقوت الحموى من أن الاسلام انتشر من بلغاريا حتى وصل إلى المجر غربا ، وهذا يعود للدور الكبير الذى قام به ملك البلغار المسلم وللتسهيلات التى منحها للدعاه وفى ذلك يقول إنه تقابل فى حماة مع بعض الأهالى من المجر وأنهم حدثوه برواية وهى أن الاسلام قد وصل إلى بلادهم عن طريق بلغاريا وهذا أبلغ دليل على نشاط الدعاة المسلمين فى نشر الاسلام فى قلب أوربا .

ويذكر مسلمو المجر فى روايتهم لياقوت أن جماعة من مسلمى بلاد البلغار قد قدموا منذ فترة طويلة إلى بلادهم وسكنوا بينهم وتلطفوا فى تعريفهم ماهم فيه من الضلال والكفر وأرشدوهم إلى الصواب وهو اعتناق الدين الاسلامى الحنيف فهداهم الله والحمد لله أسلموا جميعاً وشرح الله صدورهم للايمان .

وتلك هى صفحة من صفحات الجهاد الاسلامى المتواصل فى القارة الأوربية فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) والتى تدل على مابذله الدعاة المسلمين فى الوصول بتلك الرسالة إلى تلك الأقصاع كذلك تدل على مدى حماس الشعوب الأوربية للاسلام وتقبلها للدين الاسلامى ورغبتها فى اعتناقه والايمان بمحمد

رسول الله والإنطواء تحت الراية الإسلامية الخفاقة العالية المنتشرة فى كثير من الأرجاء وإحساسهم بالعزة والكرامة والقوة وهم ينطوون تحت راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله ، فى وقت كانت تعيش فيه شعوب شمال أوربا فى عصور الجهل والظلم والوحشية ولم تكن مبادىء الحضارة والمدنية قد بدأت تصل إليهم بعد ، ولكن إخوانهم شعوب البلغار والمجر كانوا قد اعتنقوا الإسلام وتشربوا حضارته الراقية .

الاسلام فى العصر العثمانى :

فى حركة المد الإسلامى التى قام بها العثمانيون فى شرق أوربا نجد أنهم فتحوا مدينة بلوفديف فى أرض بلغاريا عام ١٣٦٣م بعد إتمام فتحهم لأدرنة أيام السلطان أردخان ، ثم فتحوا صوفيا عام ١٣٨٥م ولم تصل عام ١٣٩٣م حتى كانت بلغاريا كلها تحت الحكم العثمانى وقد دام حكم العثمانيين للبلاد فى الجنوب ٥٤٥ سنة وفى الشمال ٥١٥ سنة وعندما دخل العثمانيون إلى تلك البلاد أخذ الكثير من البلغار . يعتنقون الدين الإسلامى لأن البلغار قوم من أصل تركى ورجع الكثير إلى اللغة التركية لغتهم القديمة ، بينما حافظ من اعتنق الإسلام منهم فى القرن السابع عشر الميلادى على لغته البلغارية ، والمسلمون فى بلغاريا ثلاث قوميات الأتراك والبلغار والغجر ، وعندما استقلت البلاد عن تركيا عام ١٩٠٨ م كان المسلمون يشكلون أكثرية الشعب البلغارى . ولكن بعد الاستقلال اضطروا تحت كثيراً من الوسائل والمضايقات إلى الهجرة إلى تركيا وقد أدى ذلك إلى انخفاض نسبتهم فى البلاد .

ولكن عندما تولى الحزب الشيوعى الحكم فى البلاد قامت حركة طرد للمسلمين من البلاد فتم طرد ١٦٠,٠٠٠ ألف مسلم تركى إلى تركيا عام ١٩٥١م وفى السنوات الأخيرة ١٩٧٢ م سمح لمن لهم أقارب خارج بلغاريا أن يلتحقوا بهم فأدى ذلك إلى هجرة ١٠,٦٣٢ مسلم ، ويكثر المسلمون الآن فى المناطق التى تجاور يوغسلافيا وتركيا واليونان .

الحكم الشيوعى وسياسة الابادة :

فى ظل الحكم الشيوعى بدأت حملة إبادة ضد المسلمين أعد لها مخطط رهيب ففى بادىء الأمر عملت الحكومة الشيوعية على إجبار المسلمين على الهجرة إلى تركيا وذلك عندما لاحظ الشيوعيون أن المسلمين يتزايدون بسرعة ولكنهم بعد ذلك عملوا على القضاء على المسلمين واتبعوا عدة طرق منها :

١ — تغيير الأسماء المسلمة إلى أسماء مسيحية .

٢ — عدم صرف رواتب العمال والموظفين المسلمين إلا بعد تغيير أسمائهم الإسلامية .

٣ — عدم دخول طلاب مسلمين للمدارس .

٤ — إجبار النساء المسلمات على عدم لبس الزى الإسلامى .

٥ — يمنع المسلمون من دفن موتاهم فى مدافن خاصة بهم .

٦ — منع المسلمون من الاحتفال بالأعياد وصوم رمضان وإقامة الصلاة وإغلاق المساجد ومن عارض هذه السياسة أدخل السجون وتمت إبادتهم داخل هذه السجون ، فى حين سمح للمسيحيين بأن يمارسوا نشاطهم الدينى ولهذا يعانى المسلمون إضطهاد كبير فى بلغاريا ويكاد يكون المسلمون الموجودين حالياً داخل البلاد يحملون الإسلام إسماً بعد أن كان يوجد فى بلغاريا أكثر من ١,٢٠٠ مسجد أغلقت جميعها وحولت إلى متاحف أو هدمت والشيوعية تريد أن تمحو اسم الإسلام نهائياً من تلك الديار، التى كانت منذ عصور طويلة أرضاً إسلامية انتشر فيها دين الاسلام ومنها أشع شعاع الإيمان فالله يعيد الكرة للاسلام فى تلك البلاد وينهب إلى الأبد آثار الملاحدة الشيوعيين أعداء الله وأعداء الدين فى بلغاريا .

وكل هذا يحدث على مسمع ومرأى من العالم الإسلامى فى نفس الوقت الذى تدعى فيه بلغاريا صداقتها لبعض الدول الإسلامية وتقيم معها العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية وكأنهم عوناً لها على تحطيم الإسلام فى بلادها .

الاسلام والمسلمون فى المجر

لقد خرجت السرايا الإسلامية من دمشق العاصمة الأموية وأما كن أخرى من العالم الإسلامى لتمد دين الله الحنيف إلى الشمال الأفريقى ووصلت السرايا التى ترفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله إلى شواطىء الأطلسى ونزل عقبة بن نافع بفرسه فى مياه المحيط ، ولم تمض فترة طويلة حتى خرج البربر والعرب تعصمهم وحدة الإسلام ليغزوا أرض أوربا وليبشروا الدين الاسلامى فى كل أنحاء القارة، وتم لهم ماأرادوا ، فقد انطوت أقطار كثيرة تحت رأية الاسلام ووصل الاسلام فى حركته الامتدادية إلى حدود النمسا وألمانيا ، وذلك فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) بعد أن تمكن المسلمون من جبال الألب وأقاموا دولتهم الاسلامية فى سويسرا .

هذا من ناحية الجانب الغربى للقارة الأوربية ولكن من الناحية الشرقية من القارة ، فإن القسطنطينية رغم الحملات الاسلامية التى خرجت إليها من أجل رفع راية الاسلام فوقها ، فإنها لم تقف حائلا دون اندفاع الاسلام إلى الأقطار الواقعة إلى الغرب منها فقد وصل الاسلام ورسالته الخالدة إلى أرض هنغاريا أو مايطلق عليها اليوم بلاد المجر .

الاسلام وانتشاره فى البلاد :

لم يكن المجر التى انتشر الاسلام فيها فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) لم تكن إلا أحد الأقطار التى تمكن الاسلام من قلوب أهلها وهداهم الله إلى اتباع الطريق المستقيم فى وقت كادت فيه كل القارة الأوربية أن تنطوى تحت راية الاسلام ، والمجر تكاد تتوسط قلب القارة الأوربية ، ولكن فى القرن الثالث الهجرى لم تكن حدودها السياسية هى الحدود الحالية بل كانت أكثر اتساعاً وربما أطلت بحدودها على بحر البلطيق ، أما اليوم فهى بلد داخلى لاحدود سياسية له على البحر أو المحيط ، ويحد المجر من الشرق الاتحاد السوفيتى ومن

الغرب النمسا ومن الشمال تشيكوسلوفاكيا ومن الجنوب رومانيا ويوغسلافيا ونهر الدانوب يشقها من الغرب إلى الشرق وتنقسم المجر إلى منطقتين، منطقة شرقية وهى سهل غنى بالزراعات ومنطقة غربية وهى هضاب وجبال .

أما عن انتشار الاسلام بين ربوعها فلم يعرف على وجه التحديد وقت دخول الاسلام إلى تلك الديار ، وربما يكون قد وصل على أيدى بعض التجار أو الدعاة فى منتصف القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) وقد انتشر الاسلام فى المجر بنفس الطريقة التى انتشر بها فى بلغاريا ، فقد انتشر فى طول البلاد وعرضها دون فتح أو غزو ، ويبدو أن انتشار الاسلام فى أول الأمر كان بطيئاً وأن الذين اتخذوه عقيدة لهم كانوا فئة قليلة .

ويسوق لنا ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان ، رواية يعد فيها بلاد المجر من الأقطار التى انطوت تحت لواء لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فيقول أنه فى القرن الثانى عشر والثالث عشر الميلادى ، السابع الهجرى ، كان فى بلاد المجر طائفة كبيرة من المسلمين الذين اعتنقوا الدين الاسلامى عن رضا ، وقناعة عن طريق الدعاة المسلمين الذين جاءوا إلى بلادهم وأنهم اتخذوه عقيدة لهم ، وأن هذه الطائفة معروفة فى تاريخ المجر بما كان لها من مكانة ، وقد تمسكوا بدينهم الاسلامى الحنيف على الرغم من أن بعض ملوك المجر القدماء الذين كانوا يروا فى الاسلام خطراً عليهم نظراً لازدياد الداخلين فيه ، قد ضيقوا الخناق على هؤلاء المسلمين مراراً ليحملوهم عن دينهم ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل وازداد دخول القوم فى دين الله الحنيف .

مسلمو المجر فى بلاد الشرق :

يذكر ياقوت الحموى فى روايته أنه تقابل مع طائفة من مسلمى المجر فى مدينة حلب بالشام وأنهم كانوا طائفة كبيرة يقال لهم « الباشغودريه » ويبدوا أنهم كانوا فى طريقهم إلى الأراضى المقدسة فى الحجاز لتأدية فريضة الحج ، وهم قوم شعور والوجوه تقر الشعر يتفقهون على مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ويكمل

ياقوت روايته فيقول أنه سأل رجلا منهم كان يتحدث العربية أن يحدثه عن بلادهم ، وأحوال المسلمين بها وكيف وصل الإسلام إلى تلك الديار الواقعة فى قلب أوربا ، فقال له الرجل المجرى ، أما بلادنا فهى تقع من وراء القسطنطينية فى مملكة من الفرنج يقال لها الهنكر ، ونحن مسلمون رعية لملك لم يعتنق الإسلام بعد — وهذا عكس ملك البلغار الذى أعتنق الإسلام وأخذ يدعو له بين رعيته — وبلادنا فى الجنوب من بلاده ويقصد المتحدث هنا أحد البلاد التى انتشر فيها الإسلام تقع جنوب المجر أى هى تجاور بلاد البلغار مما سهل للاسلام أن ينشر ويأخذ طريقه بسهولة ، وهى فى نحو ثلاثين مدينة وقرية وكل واحدة منها تكون بلدة صغيرة مستقلة بنفسها ويلاحظ هنا أن الإسلام قد وجد له قاعدة عريضة بين سكان البلاد بدليل هذا العدد الكبير من المدن والقرى إلا أن ملك الهنكر لم يسمح لنا بعمل أسوار حول مدننا أو قرانا ، خوفا من أن نخرج عن طاعته وحكمه أو نعلن العصيان عليه أو نستقل عن ملكه وتكون دولة إسلامية مستقلة فى هذه الأراضى ونقيم عليها ملك مسلم من بيننا ، وهذا هو السبب الذى حظر علينا وعلى كل المسلمين فى بلاده من تحصين بلادنا .

ويكمل الشيخ المجرى حديثه لياقوت فيقول : نحن فى وسط بلادنا النصرانية فشمالنا بلاد الصقالبة — ويقصد هنا ربما الأراضى التى لم تخضع لملك بلغاريا المسلم بعد ، وجنوبنا بلاد البابا ، وفى الغرب بلاد الفرنج ، وفى الشرق بلاد الروم القسطنطينية وأعمالها وقال أن لساننا لسان الفرنج — أى أن اللغة العربية لغة الإسلام والقرآن الكريم لم تنتشر على نطاق واسع فى هذه البلاد ، لكنه أشار إلى أنه يوجد بيننا من يتحدث اللغة العربية وزينا زى سائر أهالى المجر ونخدم معهم فى الجندية ، ونغزو معهم كل طائفة ، إلا أننا لانقاتل إلا مخالفى الدين الإسلامى وأن الجنود المسلمين فى المجر لم يشتركوا قط فى قتال المسلمين .

سبب إسلامهم :

وأضاف ياقوت الحموى أنه سأل الشيخ المجرى عن سبب إسلامهم مع كونهم فى وسط بلاد الكفرة أى تحيط بهم بلاد نصرانية من كل جانب فقال الشيخ سمعت من جماعة من أسلافنا وهذا يعنى إن الاسلام قديم فى بلاد المجر —

يتحدثون عن أنه قد قدم إلى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد البلغار — يلاحظ هنا الجهود التى بذلها البلغار فى نشر الإسلام والفرص التى أتاحها ملك البلغار المسلم للدعاة المسلمين للانطلاق من بلادة ونشر الدعوة الإسلامية فى البلاد المجاورة — وسكنوا بيننـــا وتلطفوا فى تعريفنا ما نحن عليـــه من الضلال وأرشدونا إلى الصواب وضرورة أعتناق الدين الإسلامى والخروج من دين الشرك ، فهدانا الله والحمد لله ، فأسلم أسلافنا جميعاً وهم الذين كانوا يسكنون المنطقة الجنوبية والتى لانزال نحن نسكن بها ، وشرح الله صدورهم للإسلام والإيمان وبذلك وجد الإسلام طريقه إلى أرض المجر بعد أن ازداد عدد الذين اعتنقوا ذلك الدين .

ونحن نأتى إلى تلك الديار الإسلامية فى بلاد الشرق ـ منبع الاسلام والحضارة الإسلامية ـ لكى نؤدى فريضة الحج ثم الإستقرار فترة من الزمن فى بلاد الشام لكى نتفقه فى أمور الدين، وندرس العلوم الإسلامية المختلفة بمختلف فروعها ونتعمق فى فهمها ، ونأخذ بالتعاليم الإسلامية الصحيحة ونتخلص من الشوائب والعادات والبدع التى ورثناها وتتنافى مع مبادىء ديننا الإسلامى السمح ، إننا بعد أن نتزود بكل هذه العلوم الإسلامية نشترى الكتب الإسلامية والقرآن الكريم ، ثم إذا رجعنا إلى بلادنا المجر أكرمنا أهلها وولونا أمور دينهم مثل الدعوة للدين الاسلامى بين القوم وشرح الأمور الدينية وتوليه القضاء والامامة فى المساجد والوعظ الارشاد وتدريس العلوم الاسلامية واللغة العربية والقرآن الكريم والحكم بين الناس طبقاً لما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، وتطبيق الشريعة الإسلامية فى كل أمور حياتنا ، والقيام بنشر الاسلام والوعظ فى المساجد وتشجيع الناس والحث على الإكثار من بناء المساجد فى هذه المدن والقرى التى يسكنها المسلمون ، وحث المسلمين على الترابط والعمل على نشر الرسالة الخالدة (رسالة الاسلام) بين القوم الكفار ، وسأله ياقوت بعد ذلك عن سبب حلق لحاهم كما تفعل الفرنج فقال يحلقها منا المتجندون ويلبسون لبسه السلاح مثل الفرنج وختم المجرى حديثه مع ياقوت بتعريفه مقدار المساحة التى بين حلب وبلاده وهى خمس شهور .

المسلمون واحوالهم :

يذكر الأمير شكيب أرسلان فى كتابه غزوات العرب أنه سأل بعض علماء التاريخ فى المجر عند هؤلاء المسلمين الذين كانوا يعيشون فى بلادهم فى الجنوب ويكونون مجموعة كبيرة فى تلك الأرجاء فى القرن الثالث الهجرى، فأجابه الجنرال « تيودر كلوك » أستاذ التاريخ فى جامعة « بودابست » عاصمة المجر الحالية بما خلاصته بأنه كان يوجد فى بلاد المجر قوم مسلمون وأن أصلهم من بلاد البلغار وأنهم جاءوا إلى هذه البلاد للدعوة والتجارة وأنهم سكنوا بين القوم من أهل المجر وأنهم نشروا الإسلام بين أعداد كبيرة من أهالى المجر حتى أصبح الجزء الجنوبى منطقة اسلامية كله يعيش فيها المسلمون. وأن هؤلاء الأهالى من المجر أنضموا للقوم الذين جاءوا من بلغاريا فى عبادتهم وجاء مثلهم مسلمون يفعلون ما يفعلون ويمتنعون عما يمتنعون وأنهم عاشوا فى المجر أيام ملوك المجر من أسرة « أربارد » فى القرن الثالث الهجرى ، التاسع الميلادى فى الفترة من ٢٥٦/٨٩٦ هـ حتى عام ١٣٠١م وكان يقال لهم الإسماعيلية . غير أن كلمة الإسماعيلية لم يقتصر إستعمالها للدلالة على العرب ، بل أطلقت على المسلمين كذلك والمعروف أن الإسماعيلية كما نفهمها نحن المسلمون اليوم هى طائفة من طوائف الشيعة تنتسب إلى الإمام السابع إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على أبى طالب واشتهرت طائفة من المسلمين فى المجر باسم الإسماعيلية وذلك خلال العصور الوسطى ولكنها إنقرضت اليوم لقلة عددها واندماجها التدريجى فى المجر فضلا عما نزل بها من إضطهادات وتعسف وإرغام على الإرتداد عن دين الإسلام .

والملاحظ هنا أنه من الأمور الغريبة أن لفظ الإسماعيلية لم يعد يطلق على العرب وحدهم أبناء إسماعيل عليه السلام ، بل صار يطلق فيما بعد فى أوربا (شرق أوربا) ، على كل المسلمين والذين انطوا تحت راية الإسلام وأطلق الأوربيون هذا الاسم على كل من اعتنق الإسلام من قومهم .

وكانوا فى القرن الحادى عشر الميلادى يعيشون جماعات فى جنوب البلاد ، وكانوا جنود أشداء حتى أن الملك عين منهم حراساً لقلعته الكبيرة فى بلده بست Best فى جنوب البلاد فى القرن الثالث عشر الميلادى إزداد عددهم ولم يعد وجودهم

حتى مدينة بست وحدها بل انتشروا فى جميع بلاد المجر وكان أكثرهم من طبقة التجار ، وفى عام ١٠٧٧ م أصدر الملك المجرى (لاديسلاوس) أمراً بتنصير هؤلاء الإسماعيلية ولكنه لم يستطع أن يؤثر فيهم بهذا القرار بل بقى هؤلاء على دينهم الإسلامى الحنيف ، بل وأكثر من ذلك أخذوا يعملون سراً على نشر الإسلام بين شعب المجر ، وعلى أثر فشل أمر الملك « لاديسلاوس » نجد الملك كولمان يصدر عام ١٠٩٥ م مرسوماً بأن لايكون فى المدن والقرى التى يسكنها المسلمون أكثر من نصف عدد سكانها وبذلك يتشتت المسلمون فى كل أنحاء المجر.

دور المسلمون فى المجر :

وفى أيام الملوك الذين جاءوا بعد الملك « كولمان » كان المسلمون يؤثرون العمل فى الخدمة العسكرية وقد استطاع أفراد منهم الوصول إلى مناصب عليا فى الجيش لأنه كان مشهوداً لهم بالشجاعة وحب الجندية وفى عام ١١٦١ م أرسل ملك المجر « جيزى الرابع » إلى الأمبراطور « فريدريك » إمبراطور ألمانيا جيشاً لمساعدته فى حروبه كان به خمسمائة جندى وضابط من المسلمين الإسماعيلية ، وفى عام ١٢٠٧ م كان المسلمون قد تحولوا إلى القيام بالأعمال المالية وصاروا صيارفة يقرضون طول المجر الأموال التى يحتاجونها ومازالوا حتى عام ١٣٤٢ م معروفين فى طول البلاد وعرضها لدى كافة الشعب المجرى كمسلمين، ولكن منذ ذلك الوقت أخذوا يندمجون مع الشعب المجرى وإن كان فى عام ١٣٦٦ م لاتزال عائلات مسلمة تعيش فى بلاد المجر ، والذى لاشك فيه أن هؤلاء المسلمون الذين كانوا يعيشون فى بلاد المجر ، لم يكونوا من أصل عربى قط أو أصل بلغارى ولكن من بينهم مسلمون جاءوا من بلاد إسلامية (مسلمون تتار وأتراك) وعاشوا بينهم بالإضافة إلى مسلمى المجر أو الباشغرد .

ولقد كان انتشار الإسلام فى الأجزاء الجنوبية فى البلاد سبباً فى تحضر تلك الأجزاء من المجر ورقيها وذلك بانتشار الحضارة الإسلامية وثقافتها فى تلك الأنحاء والتى كثر فيها بناء المساجد ذات الطراز الإسلامى الشرقى وأيضاً بناء المساكن التى بناها المسلمون والتى تختلف عن مساكن أهل البلاد والتى اقتبس طرازها من الشرق الإسلامى

وكذلك انتشار ظاهرة حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية وقدوم العلماء من أهل المجر إل بلاد الشرق الاسلامى لدراسة الدين الاسلامى الحنيف وعلومه المختلفة وكل هذه الأمور ساعدت على تقدم شعب المجر الذى كان يعيش أغلبه فى عصور الظلم والجهل ولم تكن شمس الحضارة قد سطعت بعد على المجر إلا بفضل الحضارة الاسلامية ، ولو قدر للاسلام أن ينتشر فى كل بلاد المجر لتغير وجه الحضارة فى ذلك الجزء من القارة الأوربية .

وانتشار الاسلام بهذه الصورة فى بلاد المجر منذ القرن الثالث الهجرى على أيدى أبناء الاسلام من بلغاريا وغيرها من البلاد الاسلامية والذين كانوا يدعون لدين الله الحنيف فى تلك البلاد لدليل قوى على قوة العقيدة الاسلامية ورسوخها ولكن التعصب الأعمى والكراهية الشديدة من جانب حكام البلاد لم تسمح للعقيدة الاسلامية أن تنتشر ويزداد انتشارها .

الاسلام فى عهد الأتراك :

كان أول لقاء للجيوش المجرية بالجيوش الاسلامية التى خرجت لنشر دين الاسلام فى أوربا فى القرن السادس عشر الميلادى أيام السلطان العثمانى سليمان القانونى عندما انهزم الجيش المجرى على أيدى العثمانيين فى معركة ميهاج عام ١٥٢٦م ودخل المسلمون مدينة بودابست عام ١٥٢٩ م وهى المدينة التى كان المسلمون يعملون فيها جنود فى القرن الحادى عشر الميلادى ، ولذا فقد أصبحت معظم بلاد المجر ضمن الدولة العثمانية الاسلامية ، ولكن حكم الاسلام فى المجر لم يدم أكثر من ٧٣ سنة ثلاثة وسبعون عاماً فقط .

ولقد هاجر المسلمون إلى المجر من الأتراك وغيرهم من الشعوب الاسلامية الشرقية والتى خرجت للجهاد فى سبيل الله ونشر الاسلام فى هذه البلاد وكان من بين هؤلاء كثير من العلماء وقد أدى ذلك إلى تكاثر المسلمين أيام الحكم العثمانى وخاصة فى الجنوب حيث كانت القاعدة الاسلامية فى البلاد منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) .

ولكن التعصب المسيحى الذى تلى خروج الدولة العثمانية من المجر أدى إلى هجرة

الكثير من المسلمين عنها والمسلمون يعانون من جراء تلك السياسة تقطر حقداً على الاسلام مما استدعى أكثر العائلات المسلمة إلى ترك البلاد .

الاسلام فى ظل الشيوعية :

سيطر الحزب الشيوعى على حكم البلاد عام ١٩٤٩ م ووضع دستوراً على نمط دستور الاتحاد السوفيتى، وقد عاش المسلمون فى المجر فى ظل هذا النظام الملحد مثلما عاش إخوانهم فى البلاد الأخرى التى تسيطر عليها حكومات شيوعية ولقد كان فى المجر أيام حكم الأتراك مايزيد عن ٨٣ مسجداً منها فى « بودابست » العاصمة ٢٢ مسجد جامعاً وعشر مدارس إسلامية ، وعدد كبير من المكتبات الاسلامية وكانت العاصمة ذات طابع إسلامى بأسواقها وفنادقها وشوارعها ولكن النصارى حطموا تلك المساجد وحولوها إلى كنائس .

وبذلك فإنه لم يبق فى المجر اليوم لا مساجد ولا مدارس للمسلمين ومسلمو المجر يحاولون اليوم العمل على بناء مسجد لهم فى العاصمة ولكن لاطاقة لهم بذلك والنظام الشيوعى يزيد الطين بله ويمنع وصول المعلمين إلى الوظائف وإن كان إحصاء عام ١٩٧١م قد قرر عدد المسلمين فى المجر بحوالى ٥ آلاف مسلم منهم حوالى ١٠٠٠ طالب مسلم يدرسون فى تلك البلاد .

أن مسلمى المجر الحاليين ممنوعين من الانصال بإخوانهم مسلمى الشرق وإن كان هناك نوع بسيط من الاتصال بإخوانهم مسلمى النمسا . إن الاسلام يعانى الاضطهاد والتعصب فى تلك البلاد ومن هنا فإن الحكومات العربية والاسلامية مطالبة بالوقوف مع إخوانهم مسلمى المجر وتقديم المساعدات لهم ومساعدتهم فى بناء مسجداً لهم فى العاصمة بودابست والتدخل لدى الحكومة المجرية لتخفيف القيود المفروضة على مسلمى تلك البلاد .